الموعظة الحسنة

للدكتور/ عبد المنعم صبحي أبو شعيشع أبو دنيا
أستاذ الدعوة الاسلامية المساعد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله الذى حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان وجعلنا من الراشدين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل القرآن الكريم هدى وموعظة للمتقين ، والكون آية وموعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذى جمع الله به الدنيا بعد فرقة ، وهدى به بعد ضلالة ، ونور به بعد ظلمة ، وعلم به بعد جهالة .

وعلى أصحابه الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .

وبعد

فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يدعو الناس بالموعظة الحسنة ، قال تعالى (**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) النحل الآية : ١٢٥

وقد استجاب رسول الله ﷺ والتزم بهذا الأمر الإلهى فى دعوته فرغب فى الإسلام ، ورهب من الكفر ، ورغب فى الطاعة ، ورهب من المعصية ، وبشر الطائعين بالثواب ، وأنذر العاصين بالعقاب ، ووعد أهل الحق خيراً ، وأوعد أهل الباطل شراً .

وأسلوب الموعظة له أثر بليغ فى النفس البشرية .. وكم أحدث فى النفوس

من انقلاب ، وكم غيّر من أشخاص كانوا قبل سماعه أبطالاً فى الغواية والهوى ، فصاروا بعد سماعه نقاة هداة .

وأسلوب الموعظة الحسنة يمتاز بأنه أسلوب يرقق القلب ، ويثير الوجدان ، ويحتاج إليه العامة والخاصة ، فى كل وقت ومرحلة .

ويتميز أيضا أسلوب الموعظة بأنه أسلوب شامل ، يحتاج إليه الوالد فى تربية أولاده ، والزوج مع زوجته ، والجار مع جاره ، والمحتسب فى احتسابه ، وذلك بخلاف الحكمة والجدل فكلاهما موجه إلى طبقة معينة .

وما زال الوعظ يأخذ من ساحة الدعوة مكاناً فسيحاً ، وما زال لسحره وعمله فى القلوب ، وتأثيره فى النفوس ، أثر واضح لا يغفل ، فهو فن ، فن الإلقاء ، واختيار اللفظة والجملة ، والوقت والوقف .

والموعظة المؤثرة التى تصيب الهدف ، وتحقق المطلوب ، وتصل إلى الغاية ، ليست أمراً سهلاً ، فهى تحتاج إلى أن يكون الواعظ على بينة وبصيرة . متحلياً بآداب الواعظ الصادق متميزاً على غيره بمميزات تجعله يؤثر فى غيره بسهولة ويسر ، وأن يكون على علم بالموعوظ ، وبما يستحقه من موعظه .. هل يستحق الترغيب فيرغب .. أو يستحق الترهيب فيرهب .. أو يستحق الترغيب والترهيب معاً .

وعلمه بالموعوظ يقتضى أن يكون عالماً بالقدر الذى يستحقه الموعوظ .. والطريقة التى يوعظ بها ، والأداة المناسبة ، ونوع الموعظة هل هو فى حاجة إلى موعظة تعليمية .. أو إلى موعظة تأديبية .. أو فى حاجة إليهما .؟

وكذلك يقتضى الأمر أن يكون عارفاً الوقت المناسب للموعوظ .. صباحاً

.. أو عصراً .. أو مساءً .. وذلك لأن لكل موعوظ عظة ، ولكل حال مقال ، ودوام الحال من المحال ، وصدق من قال " كل يوم هو فى شأن " الرحمن الآية : ٢٩

فالموعوظ له فى كل ساعة عظة ، وفى كل موقف عبرة ، وفى كل حدث نصيحة .

كذلك ينبغى أن يكون الواعظ على علم تام بالموعظة وشروطها وضوابطها ، وإعدادها ، ومراجعها ، ونوعها ووسائلها .. الخ .

ولما رأيت نفسى .. وإخوانى الدعاة إلى الله تعالى – فى حاجة ماسة إلى معرفة كل ما يتصل بأسلوب الموعظة الحسنة من أصول وقواعد وضوابط ... الخ توكلت على الله تعالى ، وطلبت منه سبحانه العون والتوفيق ، وقمت بدراسة الموضوع ، ثم كتبت هذا البحث المتواضع والذى بعنوان :

(الموعظة الحسنة فى مقام الدعوة إلى الله تعالى)

وهذا البحث يشتمل على مقدمة وفصول وخاتمة .

ففى المقدمة : ذكرت أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، ومحتويات البحث .

وفى الفصل الأول : ذكرت فيه تعريف الموعظة ، وأركانها وشروطها ، ومصدرها وأنواعها ، وضوابطها ، وآداب ومميزات الواعظ ، وشروط الموعوظ .

وفى الفصل الثانى : تحدثت عن أسلوب الموعظة فى مقام الدعوة إلى الله تعالى ، وبينت من المدعو بالموعظة ، ومقامات الموعظة ،

وأساليبها ، وإعدادها ، ومراجعها وفى نهاية الفصل ذكرت الغاية من الموعظة .

وفى الفصل الثالث : ذكرت بعض مواعظ النبى ﷺ ، ومنهجى فيه ذكر الموعظة ثم شرحها ، ثم ذكر الصور البيانية التى فيها وذلك فى البحث الأول .

وفى المبحث الثانى ذكرت آدابه ﷺ فى الموعظة .

وفى الفصل الرابع : ذكرت فيه الضوابط العامة للموعظة . والتى تلزم كل واعظ ، ويحتاج اليها كل داعية . وأهمها الإعراض عن الاسرائيليات والحذر من الموضوعات فى مجال التفسير والسنة والتاريخ ، ورعاية مقتضى الحال ، وذلك بمعرفة حالات الترغيب والترهيب ، ورعاية الأولويات ، والاقتصاد والاختصار فى الموعظة ، وعدم التحدث مع العوام بمالا تفهمه عقولهم . واجتناب السجع .

وفى الخاتمة : ذكرت أهم التوصيات التى أوصى بها نفسى والعاملين فى حقل الدعوة إلى الله تعالى .

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين

الفصل الأول

تعريف الموعظة وأركانها وشروطها وضوابطها

تعريف الموعظة

أولا : فى اللغة .

بالرجوع إلى كتب نجد أن الموعظة لها أكثر من معنى منها :

(١) النصح والتذكير :

قال صاحب لسان العرب (الوعظ . والعظة . والعظة . والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب . قال ابن سيده : هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب) (١)

وقال صاحب مختار الصحاح (الوعظ . النصح والتذكير بالعواقب .. وعظه عظة فاتعظ أى قبل الموعظة) (٢)

وقال صاحب القاموس المحيط (يعظه وعظا وعظةً وموعظة ذكره مايلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ) (٣)

(٢) العبرة :

جاء فى لسان العرب (... وفى الحديث : لأجعلنك عظة . أى موعظة وعبره لغيرك) (٤)

(٣) الحجة :

قال صاحب لسان العرب (.. وفى الحديث : وعلى رأس السراط واعظ الله فى قلب كل مسلم يعنى حججه التى تنهاه عن الدخول فيما منعه الله وحرمه عليه) (٥)

---

(١) لسان العرب . لابن منظور حـ ٦ ص ٤٨٧٣ ، ٤٨٧٤ . دار المعارف بمصر

(٢) مختار الصحاح . للرازى ص ٧٢٩ دار الحديث بجوار الأزهر الشريف .

(٣) القاموس المحيط للفيروز أبادى حـ ٢ ص ٤١٥ مكتبة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الثانية .

(٤) لسان العرب حـ ٦ ص ٤٨٧٣ ، ٤٨٧٤ .

(٥) لسان العرب حـ ٦ ص ٤٨٧٣ - ٤٨٧٤ .

(٤) الأمر بالطاعة والتوصية بها :

جاء فى المعجم الوسيط (وعظه يعظه وعظا وعظه : نصحه وذكره بالعواقب أمره بالطاعة ووصاه بها) (١)

وجاء فى المصباح المنير (وعظه يعظه وعظا وعظة : أمره بالطاعة ووصاه بها وعليه قوله تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة) أى أوصيكم وآمركم) (٢)

(٥) التخويف :

جاء فى مجمل اللغة (الوعظ : التخويف . والإسم العظة . قال الخليل : هو التذكير بالخير فيما يرق له قلبه) (٣)

من خلال ذلك تبين أن كلمة " الموعظة " تحمل بين طياتها معانى النصح والتذكير . والعبرة والحجة . والأمر بالطاعة والتوصية بها . والتخريف ، وكل معنى من هذه المعانى موعظة فالنصيحة موعظة . والتذكير موعظة . والعبرة موعظة ... وقد يجتمع بعضها أو كلها فى موعظة بليغة .

ولم تخرج كلمة " موعظة " فى كتب التفسير عن هذه المعانى .

فقد فسرها القرطبى (٤) والنسفى (٥) وصاحب صفوة التفاسير (٦) بالنصح والتذكير .

والطبرى (٧) وغيره بالعبرة والحجة .

---

(١) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقهرة حـ ٢ ص ١٠٨٦ الطبعة الثالثة .

(٢) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى . تأليف أحمد بن على المقرى الفيومى ص ٦٦٥ دار المعارف

(٣) مجمل اللغة . لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا حـ٤ ص ٩٣١ . مؤسسة الرسالة بيروت

(٤) تفسير القرطبى حـ٣ ص ١٧٤١ .

(٥) تفسير النسفى حـ ص ٣٠٤ .

(٦) صفوة التفاسير " الصابونى " حـ ١ ص ٦٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، حـ٤ ص ٤٧٨ ، حـ١٢ ص ٤٩١ ، حـ ١٣ ص ٥٥٩

(٧) جامع البيان للطبرى حـ ١٤ ص ١٣١ .

وابن كثير (١) والنسفى (٢) بالأمر بالطاعة .

وصاحب البحر المحيط (٣) والقرطبى (٤) والنسفى (٥) بالتخويف .

ثانيا : فى الاصطلاح :

عند المفسرين :

قال الإمام النسفى : الموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة (٦) .

وجاء فى التفسير الوسيط : الموعظة النصيحة الجميلة المشتملة على الترغيب فى الحق والترهيب من الباطل (٧) .

وقال الشيخ الشعراوى : الموعظة حمل النفس ترغيباً وترهيباً . لعمل الخير بالترغيب والبعد عن الشر بالترهيب . (٨)

عند المحدثين :

قال ابن حجر العسقلانى : الموعظة النصح والتذكير (٩) .

وقال صاحب كتاب " دليل الفالحين " : الموعظة المراد القول اللين بلا تغليظ وتعنيف (١٠)

عند الفقهاء :

قال ابن القيم : الموعظة الحسنة : هى الأمر والنهى المقرون بالرغبة

---

(١) تفسير ابن كثير حـ ١ ص٢٨١ .
(٢) تفسير النسفى حـ ١ ص ٢٣٢ .
(٣) التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط لأبى حيان حـ ٥ ص ٥٤٩ .
(٤) القرطبى حـ ١ص ٣٧٨ ، حـ ٢ ٩٦٥ ، حـ ٣ ص ١٨٣ .
(٥) تفسير النسفى حـ ١ ص ٢٣٣ ، حـ ٤ ص ٢٣٢ .
(٦) تفسير النسفى حـ، ص ٣٠٥
(٧) التفسير الوسيط . المجلد الثانى . الحزب الثامن والعشرون ص ٧٠٣
(٨) تفسير الشعرواى العدد ٢٢ ص ١٧٨٣
(٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى حـ ١ ص ١٦٢
(١٠) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين . لابن علان حـ٥ ص ١٧٨

والرهبة (١)

وقال ابن تيمية : الوعظ أمر ونهى بترغيب وترهيب (٢)

عند المناطقة :

قال الجرجانى : الموعظة هى التى تلين القلوب القاسية . وتدمع العيون الجامدة (٣) .

عند علماء الدعوة الإسلامية :

قال الشيخ على محفوظ : الوعظ يطلق على القول الحق الذى يلين القلوب ويؤثر فى النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة . ويزيد النفوس المهذبة إيمانا وهداية (٤)

وقال صاحب المدخل إلى علم الدعوة : الموعظة فى الاصطلاح الدعوى . ترادف النصحية (٥)

وقال د/ حسين خطاب : الموعظة نصيحة مضمونها أمر مرغب فيه أو نهى مرهب منه أو . نصيحة مضمونها ترغيب وترهيب (٦) .

وقال الشيخ صالح بن حميد : الأصل فى الموعظة أنها القول الذى يلين نفس المخاطب ليستعد لفعل الخير والاستجابة له . (٧)

من خلال ذلك تبين أن الموعظة – نصيحة وتذكير وعبرة وتخويف – مضمونها الترغيب فى جنس العبادة وأنواعها . والترهيب من جنس المعصية وأنواعها بأسلوب عذب ، يلين القلوب القاسية ، ويدمع العيون الجامدة .

---

(١) مفتاح دار السعادة . لابن القيم ص ١٦٧
(٢) مجموع الفتاوى . لابن تيمية جـ ١٩ ص ١٦٤
(٣) التعريفات ، الجرجانى ص ٢٣٦
(٤) هداية المرشدين . الشيخ على محفوظ ص ٧١
(٥) المدخل إلى علم الدعوة . البيانونى ص ٢٥٨
(٦) ضوابط العمل الدعوى . د/ حسين خطاب ص ١٥
(٧) مفهوم الحكمة فى الدعوة ص ٩

ويبعث على العمل .

أهمية الموعظة الحسنة :

تظهر أهمية الموعظة الحسنة من أمور عديدة . منها

(١) أنها وردت فى القرآن الكريم فى أربع وعشرين آية (١) .

(٢) أن الله تعالى يعتبر الوحى كله فى القرآن الكريم والتوارة والإنجيل موعظة قال تعالى (**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى صدور**) (٢)

وقال تعالى (**وكتبناه فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ**) (٣)

وقال تعالى (**وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين**) (٤)

(٣) أنها جاءت – أى الموعظة – فى سياق تفصيل الأحكام الشرعية ذاتها فعقب أحكام الطلاق قال سبحانه (**ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر**) (٥)

(٤) وجاءت عقب أمر الله تعالي الحكام بأن يؤدوا الأمانات ويحكموا بالعدل قال سبحانه (**إن الله نعما يعظكم به**) (٦)

(٥) واستعملت الموعظة فى سياق المطالبة بتنفيذ الأوامر الإلهية فقال سبحانه (**ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيا**) (٧)

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٧٥٥

(٢) سورة يونس الاية : ٥٧

(٣) سورة الأعراف الاية : ١٤٥

(٤) سورة المائدة الاية : ٤٦

(٥) سورة البقرة الاية : ٢٣٢

(٦) سورة النساء الاية : ٥٨

(٧) سورة النساء الاية : ٦٦

(٦) أن الله تعالى جعلها من الأساليب العامة للدعوة الإسلامية فقال سبحانه (**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن**) (١)

وقال تعالى (**وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً**) (٢)

(٧) أن رسول الله ﷺ جعلها أساس الدين ، فقال ﷺ (الدين النصيحة . قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (٣) . والنصيحة من معانى الموعظة .

(٨) مبايعة الرسول ﷺ الصحابة عليها ، فعن جرير قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم . (٤)

(٩) استخدام جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام لها . فقد ذكر القرآن الكريم مواعظهم ونصحهم لأقوالهم .

(١٠) إفراد رجال الحديث كتباً أو أبواباً مستقلة لأحاديث الرقائق . وجعل المنذرى عنوان كتابه فى الحديث " الترغيب والترهيب "

الموعظة خطاب للنفس :

النفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا . وسائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانبها .. ولذا كان ﷺ يستعيذ بالله من شرورها .

والنفس البشرية جوانبها متعددة وصفحاتها متنوعة . ووجوهها مختلفة . كل منها له لغته وأسلوبه وطريقة التأثير عليه .

---

(١) سورة النحل الاية : ١٢٥

(٢) سورة النساء الاية : ٦٣

(٣) صحيح البخارى مع الفتح حـ ١ ص ١٣٧ " كتاب الإيمان " باب قول النبى ﷺ الدين النصيحة صحيح مسلم بشرح النووى حـ٢ ص ٣٧ " كتاب الإيمان " باب الدين النصيحة .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى حـ٢ ص ٣٩ " كتاب الإيمان " باب الدين النصيحة .

والموعظة الحسنة تعنى بخطاب النفس تخويفاً وترغيباً . وترقيقاً وإنذاراً . وتواجه النفس لا فى مداركها ووعيها . ولكن فى شهواتها وأهوائها . وتخاطب تقلباتها وتغيراتها وتنصحها بالاستقامة والسر على الجادة كى تجتاز الصراط بأمان ورعاية .

الموعظة خطاب للعقل :

والموعظة فى الوقت نفسه تعنى بإقناع العقل من خلال الأساليب العقلية كالتقسيم والاستدلال النقلى . والأقوال الذائعة والمشهورة والعبارات الحكيمة التى تفعم الذهب باليقين أو تستحثه عليه .

قال عبد الله بن عباس . ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ ما انتفعت بكلام كتبه إلى على بن أبى طالب رضي الله عنه. كتب إلى : أما بعد فإن المرء يسره إدراك مالم يكن ليفوته . ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه . فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك . وليكن أسفك على ما فاتك منها . وما نلت من أمر ديناك فلا تكن فرحاً . وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً . وليكن همك ما بعد الموت . (١)

فقد ظهر من خلال هذه الموعظة أسلوب التقسيم والحديث عن كل قسم . وما يترتب عليه . وإيثار الحق على الباطل . والأخرة على الأولى . والباقى على الفانى .

وهكذا لم تهمل الموعظة العقل الإنسانى ولكن خاطبته وأعطته الأدلة ودعته إلى التفكير والتأمل .

---

(١) العقد الفريد . لابن عبد ربه الأندلس جـ ٢ ص ١٤٢

أركان الموعظة

يقوم أسلوب الوعظ على أركان ثلاثة هى :

١- الواعظ .

٢- الموعوظ .

٣- العظة .

الواعظ :

أحد الأركان الأساسية التى عليها الموعظة فى أى شكل من أشكالها .

جاء فى المعجم الوسيط (الواعظ : من ينصح ويذكر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ج وعاظ) (١) و (الوعاظ : مبالغة فى الواعظ) (٢)

والواعظ قد يكون داعية . أو محتسباً . أو مربياً . أو زوجاً .. رجلا أو امرأة فكلاهما مكلف بالدعوة والحسبة ، مسؤول عن رعيته . قال تعالى **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)** (٣)

ومن مواعظ أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إنكم لن تلقوا الله بشئ خير لكم من قلة الذنوب فمن سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف نفسه عن كثرة الذنوب (٤)

وقد يكون الواعظ القرآن الكريم . فهو واعظ ناطق .. قال تعالى **(يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدر وهدى ورحمة**

---

(١) المعجم الوسيط حـ ٢ ص ١٠٨٦

(٢) المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية ص ٦٧٥

(٣) سورة التوبة الاية : ٧١

(٤) صفة الصفوة . لابن الجوزى حـ ١ ص ٢٦٦

للمؤمنين) (١)

وقد يكون الواعظ الموت . ﷺ (كفى بالموت واعظا . وكفى بالعبادة شغلا . وكفى باليقين غناء) (٢)

وقد يكون الواعظ آية كونية . أو آية إنسانية . ولذا يأمر الله تعالى بالنظر والتأمل فى الكون ، النفس . قال تعالى **(قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)** (٣) . وقال تعالى **(وفى الأرض آيات للمؤمنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون)** (٤)

آداب الواعظ :

جاء فى المعجم الوجيز (الأدب رياضة بالتعليم والتهذيب على ما ينبغى . و- : جملة ما ينبغى لذى الصناعة أو الفن أن يتمسك به كأدب القاضى وأدب الكاتب) (٥)

وقال الجرجانى (الأدب : عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ) (٦)

الوعظ على الوجه الذى يرق له القلب ويبعث على العمل مسئولية عظيمة لهذا وجب أن تتوافر فيمن يقوم به الآداب الآتية :

(١) أن يتعظ ثم يعظ :

من أدب الواعظ أن يبدأ بنفسه ويتعظ ويتأثر ويعمل بموعظته .

---

(١) سورة يونس الاية : ٥٧

(٢) الترغيب والترهيب جـ٤ ص ١٣٠ ك التوبة والزهد . باب الترغيب فى ذكر الموت وقال المنذرى : رواه الطبرانى .

(٣) سورة يونس الآية : ١٠١

(٤) سورة الذاريات الآية ٢٠ - ٢١

(٥) المعجم الوجيز ص ٩

(٦) التعريفات . الجرجانى ص ١٥

قال الشيخ على محفوظ (فحق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ . ويبصر ثم يبصر ويهتدى ثم يهدى . ولا يكون دفتراً يفيد ولا يستفيد . ومسناً يستحد ولا يقطع . وسراجاً يضئ للناس ويحرق نفسه) (١)

قال حجة الإسلام الغزالى رحمة الله تعالى عليه فيما كتبه إلى أبى حامد أحمد بن سلامة بالموصل : أما الوعظ فلست أرى نفسى أهلاً له لأن الوعظ زكاة نصابة الاتعاظ فمن لانصاب له كيف يخرج الزكاة . وفاقد النور كيف يستنير به غيره ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج (٢) .

فالواعظ إذا اتعظ بموعظته خرجت من قلبه ووقعت فى قلب الموعوظ . وإذا لم يتعظ زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا . وكان عقبة فى سبيل الإصلاح . وسبباً للمعصية .

(٢) ترك التصنع فى الوعظ :

قال ابن الجوزى (تأملت أشياء تجرى فى مجالس الوعظ . يعتقدها العوام وجهال العلماء قربة وهى منكر وبعد ... وذاك أن المقرئ يطرب ويخرج الألحان إلى الغناء ، والواعظ ينشد بتطريب أشعار المجنون وليلى فيصفق هذا . ويخرق ثوبه هذا ويعتقدون أن ذلك قربة .

ومعلوم أن هذه الألحان كالموسيقى ، توجب طربا للنفوس ونشوة . فالتعرض بما يوجب الفساد غلط عظيم .. وينبغى الاحتساب على الوعاظ فى هذا .. وفى الوعاظ من يتكلم على طريق المعرفة والمحبة . فترى الحائك والسوقى الذى لا يعرف فرائض تلك الصلاة يمزق أثوابه دعوى لمحبة الله تعالى . والصافى حالا منهم – وهو أصلحهم – يتخايل بوهمه شخصاً هو

---

(١) هداية المرشدين – الشيخ على محفوظ ص ٩٤

(٢) المرجع السابق ص ٩١

الخالقَ فيبكيه شوقه إليه لما يسمع من عظمته ورحمته وجماله . وليس ما يتخايلونه المعبود . لأنّ المعبود لا يقع فى خيال .

وبعد هذا فالتحقيق مع العوام صعب . ولا يكادون ينتفعون بمر الحق إلا أن الواعظ مأمور بألا يتعدى الصواب . ولا يتعرض لما يفسدهم . بل يجذبهم إلى ما يصلح بألطف وجه . وهذا يحتاج إلى صناعة . فإن من العوام من يعجبه حسن اللفظ . ومنهم من يعجبه الإشارة . ومنهم من ينقاد ببيت من الشعر . وأحوج الناس إلى البلاغة الواعظ ليجمع مطالبهم ، لكنه ينبغى أن ينظر فى اللازم الواجب . وأن يعطيهم من المباح فى اللفظ قدر الملح فى الطعام . ثم يجتذبهم إلى العزائم ويعرفهم الطريق الحق) (١)

الموعظة الحسنة من أساليب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى . والواعظ ينبغى أن تكون موعظته واضحة لا غموض فيها ولا إبهام ، مفهومة عند السامع . خالية من الأداء المستحدث . والتصنيع المذموم . وعلى الواعظ أن يحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ فى كلامه ومواعظه قال ابن قيم الجوزية فى زاد المعاد (كان ﷺ إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذر مسرع لا يحفظ ولا منقطع تخلله السكتات بين أفراد الكلام بل هديه فيه أكمل الهدى . قالت عائشة : ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه . وكان كثيراً ما يعيد الكلام ثلاثاً ليعقل عنه) (٢)

وعلى الواعظ أيضا أن يبتعد عن التكلف فى نطقه والانشاد فى موعظة . فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إن من أحبكم إلى

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزى ص ١٠٨ - ١٠٩

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد . لابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٤٦ هديه ﷺ فى الكلام .

وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إلى وأبعدكم من الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فى المتفيهقون . قال : المتكبرون (١)

(٣) التلطف فى الموعظة والرفق بالموعوظ :

الموعظة الحسنة تقتضى تجنب الإنفعال الحاد والحماس الزائد . حتى لا يندفع الموعوظ إلى تصرف غير لائق ، كما تقتضى الدقة والحذر . وتجنب الزجر والتأنيب فى غير موجب . والصفح عن الأخطاء التى قد تقع منهم عن جهل أو حسن نية ولا يتحامل على الموعوظ ولا يرذله .

والواعظ الموفق هو الذى يصرف من يريد وعظه عن الرذيلة إلى الفضيلة بتلويح فى المقال . وتعريض فى الخطاب . ورفق فى المعاملة مع تحرى الاقناع .

قال الشيخ على محفوظ (وجملة القول أن فى الوعظ مساً يجرح إحساس الموعوظ وحرجاً قد يحمله على النفور من سماعه والاستنكاف من قبوله . فإذا كان الداعى حكيماً فذكر ما فى المخاطب من فضل . وماله من منزلة . ثم أرشده إلى الخير . وحذره عن الشر . حمله ذلك على التخلى عما هو فيه من ضلال وشقاء . وأقبلت نفسه على التحلى بما يدعوه إليه من هدى وسعادة كما يقبل الجريح على من يضمد جراحة ، ويسكن آلامه وينقذه من تعب المرض إلى راحة السلامة) (٢)

وحسبنا أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام بالتلطف فى القول والرفق

---

(١) سنن الترمذى حـ٤ ص ٣٧٠ ك البر والصلة . باب ما جاء فى معالى الأخلاق والترغيب والترهيب حـ٣ ص ٢٦١ ك الأدب . باب الترغيب فى الرفق . وقال رواه أحمد ورواته رواة الصحيح

(٢) هداية المرشدين . الشيخ على محفوظ ص ١٢١

بفرعون . قال تعالى (**فقولاله قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى**) (١)

وفى ذلك إشارة إلى أن لين القول محل رجاء التذكر والاتعاظ . والمعد للنفوس للخوف والانزجار .

ولا يخفي على الواعظ أن الموعوظ فى حاجة إلى كنف رحيم . وبشاشة سمحة . وود يسعه . وحلم لا يضيق بجهله . بحاجة إلى من يحمل همومه . ولا يثقل عليه بهمومه .. يجد فى رحابه العطف والرضا .

(٤) تكرار الموعظة :

من أهم الآداب التى ينبغى أن يلتزم بها الواعظ ويتحلى بها فى مقام الموعظة تكرار الموعظة وإعادتها مرة بعد أخرى حتى يصيب هدفه . ويحقق غايته .

قال الشيخ على محفوظ [وجملة القول أنه لا يليق بالداعى أن ييأس من الاصلاح إن لم يؤثر عمله لأول مرة . بل عليه أن يكرر النصيحة والعظة المرة بعد الأخرى .. فالقلوب القاسية بتكرر النصيحة والتذكير بالعواقب تلين إن شاء الله تعالى بعد صلابتها . قال تعالى (**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**) (٢)] (٣)

وتكرار الموعظة دليل على قوة الثقة بالله تعالى فى وعده . وكمال الرجاء فى حصول الفائدة . مهما طال به العلاج وعظمت المصاعب . ودليل على حب الواعظ لرسالته . وإخلاصه فى دعوته . وحبه للموعوظ .

وتكرار الموعظة يقتضي أن يتحلى الواعظ بالصبر والثبات . وأن يوطن

---

(١) سورة طه الآية : ٤٤

(٢) سورة الذاريات الآية : ٥٥

(٣) هداية المرشدين ص ١٠٣ ، ١٠٤

نفسه على احتمال المكاره . ويواصل السير فى سبيل الحق مهما أعرض الموعوظ . ولا قى من صعاب . وناله من أذى . اقتداء بالآنبياء والمرسلين عليهم السلام .

وتكرار الموعظة يقتضى أن يكون الواعظ أقوى نفساً . وأعلى همة يستصغر ما دون النهاية من معالى الأمور .

(٥) الاشتغال بالله سبحانه :

الله سبحانه وتعالى هو الذى كلف الدعاة بالدعوة . وهو سبحانه الذى يؤيدهم وينصرهم ويوفقهم ويحفظهم . وإليه سبحانه إيابهم وعليه أجرهم وحسابهم لذا ينبغى على الواعظ أن يشتغل بربه سبحانه . وأن يستأنس بمناجاته . ويحذر أن يشتغل بالوعظ ، وينصرف ويعرض عن الحق سبحانه وتعالى .

قال ابن الجوزى (رأيت أكثر العلماء يتشاغلون بصورة العلم . فهم الفقيه التدريس . وهم الواعظ الوعظ فهذا يرعى درسه فيفرح بكثرة من يسمعه . ويقدح فى كلام من يخالفه ويمضى زمانه فى التفكر فى المناقضات . ليقهر من يجادله وعينه إلى التصدر والارتفاع فى المجالس وربما كانت همته جمع الحطام ومخالطة السلاطين .

والواعظ همته ما يزوق به كلامه ويكثر جمعه . ويجلب به قلوب الناس إلى تعظيمه . فإن كان له نظير فى شغله أخذ يطعن فيه .

وهذه قلوب غافلة عن الله عز وجل إذ لو كانت لها به معرفة لاشتغلت به . وكان أنسها بمناجاته . وإيثارها لطاعاته . وإقبالها على الخلوة به) (١) .

---

(١) صيد الخاطر . لابن الجوزى ص ٥١٥

إن الاشتغال بالله سبحانه هو باب الفتح الأعظم . وسبيل الوصول الأقوم ومن صدف عنه فقد حرم الخير كله وسار على غير سبيل . ومن وفق إليه فقد هدى إلى الرشد وقاده خير دليل .

قال ابن القيم رحمه الله : (الإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضا به وعنه وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكر والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إلية ألبتة ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : " إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة ") (١)

لو تحلى الواعظ بهذه الآداب سهل عليه أن يخرج الناس من ظلمات الجهل إلى أنوار الحق . وينقذهم من ذل المعصية إلى عز الطاعة . واستطاع أن يداوى القلوب . ويهذب النفوس .

مميزات(٢) الواعظ :

قال د/ عبد الله الشاذلى :

(الواعظ يخاطب نفساً لها كثير من الشهوات والأغراض والميول والعواطف . ولها دروب ومسالك بعيدة الأغوار عميقة الشقوق متعددة الجوانب . ولهذا يلزم أن يتميز الواعظ بمميزات كثيرة تؤهله لأن يكون مؤثراً فى الغير . قادراً على أن يملك أمام الأنفس . ويسيطر عليها سيطرة يستميلها فيها إلى ما يريد . ويجذبها إلى فكرته ونصيحته جذباً تتلاشى معه كل رغبة عكسية أو شهوة دنيئة . ويستطيع بمقدراته المتنوعة أن يوقظ

---

(١) الوابل الصيب . لابن القيم ص ٤٤

(٢) جاء فى المعجم الوجيز ص ٥٩٦ (ماز الشئ ميزاً : عزله وفرزه . امتاز الشئ : بدا فضله على مثله)

النفس من غفلاتها . وينتشلها من زلاتها ووهادها ويحييها من رقدتها . ويبعث فيها حماس الإيمان ، وقوة الإخلاص وشعلة العمل . وندم التوبة . ولذع الضمير . وأن يرويه بالحب . وأن يجعلها تستبدل ما هو خير وأعلى بما هو شر وأدنى) (١)

ولذا كانت الموعظة من أدق الأعمال الدعوية ، لأنها موجهة إلى النفس البشرية . وحسبنا أن الله تعالى قال (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) (٢) . وقال تعالى (**قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها**) (٣) .

وأبرز المميزات التى يجب أن تكون فى القائم بالموعظة :

(١) قوة الملاحظة وحضور البديهة :

الواعظ الناجح الذى يدرك – بقوة ملاحظته – أحوال السامعين لموعظته أهم مقبلون عليه . فيسترسل فى موعظته ويستمر فى نصحه وتذكيره .. أم هم معرضون عنه . فيتجه إلى ناحية أخرى يراها أقرب إلى قلوبهم . وأدنى إلى مواطن التأثير فيهم .. والذى يسعف – بحضور بديهته – الموعوظين بالعلاج المطلوب إن وجد منهم صدوداً وإعراضاً . أو أن يحول موضوعه إلى موضوع آخر يكون القوم فى طرحه أكثر استجابة . وأعظم تفاعلاً . وأقوى تأثيراً ..

---

(١) مدخل إلى الاستدلال القرآنى .د/ عبد الله الشاذلى ص ١١١ ، ١١٢ .

(٢) سورة الرعد الآية : ١١ .

(٣) سورة الشمس الاية : ٩ ، ١٠ .

وقد يعترض موعوظ على موعظة . فإذا لم يتمتع الواعظ بحضور البديهة ويقدم للمعترض جواباً يسد الخلة . ويدفع الزلة ضاعت الموعظة . وضعفت المهابة . وانعد م التأثير .

(٢) الثقافة الشاملة :

الثقافة الشاملة . والتبحر فى العلوم المختلفة . من أهم مميزات الواعظ .

لأن الموعظة نفع وعطاء . وتغيير وإصلاح . وهجوم ودفاع .

قال د/ يوسف القرضاوى (.. والدعوة عطاء وإنفاق . ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة . كيف يعطى غيره . وفاقد الشئ لا يعطيه . ومن لم يملك النصاب كيف يزكى) (١)

ولا يخفى على أحد أن الحوض الفارغ لا يفيض على غيره .

والثقافة الشاملة التى تلزم الواعظ هى :

١- الثقافة الاسلامية : وهى القرآن الكريم وتفسيره . والسنة النبوية . والسيرة النبوية . والفقه وأصوله . وعلم التوحيد . والتصوف . والنظام الإسلامى .

٢- الثقافة التاريخية ويهمنا تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية خاصة . وتاريخ الإنسانية بصفة عامة .

٣- الثقافة الأدبية واللغوية .

٤- الثقافة الإنسانية . مثل علوم النفس والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والأخلاق .

٥- الثقافة العلمية . مثل علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء والجيولوجيا والطب ...

---

(١) ثقافة الدعاية . د / يوسف القرضاوى ص ٥

٦- الثقافة الواقعية . مثل واقع العالم الاسلامى . وواقع القوى العالمية المعادية للإسلام والمتمثلة فى اليهودية العالمية . والصليبية العالمية والشيوعية الدولية وواقع الأديان المعاصرة . وواقع المذاهب السياسية المعاصرة من شيوعية ورأسمالية واشتراكية وديمقراطية ودكتاتورية . وواقع الحركات الإسلامية المعاصرة . وواقع الفرق المنشقة على الإسلام كالبهائية والقاديانية . وواقع البيئة المحلية .(١)

ولا نجد واعظا ماهراً إلا وله فى كل علم من الثقافة حظ وافر .. وقد ذكرت المصادر الإسلامية كثيراً من علماء السلف الصالح رضى الله عنهم كان الواحد منهم نظراً لتبحره فى العلم يجيد المناظرة ، ويجيد الموعظة . من هؤلاء ابن الزغوانى وابن الجوزى ، وأبو مسلم الخولانى ، وأبو عمر الأوزاعى وغيرهم (٢) .

(٣) رقة الأسلوب :

أن يقدم الواعظ موعظته فى قالب لفظى رشيق ، وأسلوب يقطر عذوبة . ويفيض رقة . لأن الموعظة موجهة إلى النفس التى تحب الرفق فى المعاملة والتلطف فى القول . والرقة فى اللفظ .

قال د/ عبد الله الشاذلى (وربما تقع - أى النفس - أحياناً أسيرة العبارة . وقيد الكلمة . وقد يكسر حدتها لفظ منمق . أو يخطم كبرياءها أسلوب جذاب . وإن كثيراً من الذين وقع عليهم من حكاهم وفقوا إلى بعض الكلمات التى تسرى بين شعاب النفس فترطبها وتبرد غيظها . فحصلوا بسبب ذلك على العفو وكانت اللفظة هى الشفيع الوحيد الذى أبرد لهيب

(١) وللمزيد انظر ثقافة الداعية د / يوسف القرضاوى .

(٢) انظر الذيل لابن رجب حـ ٣ ص ٤٠٢ . والمنتظم لابن الجوزى حـ ١ ص ٣٢

الغيظ . وأطفأ نارالغضب عليهم وكانت هى البديل عما بدامنهم بالنسبة لغيرهم) (١)

والواعظ إذا لم يتمتع بجودة الإلقاء كان النفع بعيداً . والتأثير معدوماً .

والإلقاء الجيد له قواعد من أهمها جهارة الصوت وقوته . وحسن مخارج الحروف وتمييز أجزاء الكلمة . وتلوين الصوت وتكييفه . وحسن الإشارة .

وفى السلف الصالح نجد وعاظاً ملكوا أعنة البيان . وامتاز أسلوبهم بالرقة والعذوبة . من هؤلاء ابن الجوزى .

قال ابن رجب الحنبلى فى وصفه (إن ارتجل أجاد . وإن روى أبدع) (٢)

وقال الذهبى عنه (وإليه المنتهى فى النثر والنظم الوعظي) (٣)

وقال عماد الدين الأصبهانى فيه (واعظ صنيع العبارة . بديع الإشارة . مولع بالتجنيس فى لفظه . والتأنيس فى وعظه) (٤)

فالواعظ إذا لم يتمتع برقة الأسلوب . وجودة الإلقاء . وقوة البيان . وفصاحة اللسان . كان ضره أقرب من نفعه . ومثال الخزى والعار على الوعظ وأهله .

(٤) تطبيق الموعظة :

الموعظة القولية لا تسعف الواعظ بالمطلوب مالم يطبق الموعظة على نفسه . ويكون بها الكتاب المفتوح يجد فيه الموعوظ معانى الموعظة . فيقبل عليه . وينجذب إليه .

والواعظ الذى لم ينتصر على نفسه لا يستطيع الانتصار على نفوس

---

(١) مدخل إلى الاستدلال القرآنى . د / عبد الله الشاذلى ص ١١٤

(٢) الذيل . لابن رجب حـ ٣ ص ٤١٢

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبى حـ ٤ ص ١٣٤

(٤) عماد الدين الأصبهانى خريدة القصر وجريدة أهل العصر حـ ٢ ص ٢٦١

الآخرين.والذين يهزمون أمام شهواتهم لا يلمون إلا أنفسهم إذا ما انهزموا أمام الآخرين ومطامعهم .

فينبغي للواعظ أن يجاهد نفسه . ويطبق موعظته . ليفيد وعظه . ويثمر إرشاده . ويضع الله تعالي القبول له فى قلوب الخلق .

جاء فى العقد الفريد (الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب . وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان . وقالوا ما أحسن التاج . وهو على رأس الملك أحسن . وما أحسن الدر وهو على نحر الفتاة أحسن . وما أحسن الموعظة . وهى من الفاضل التقى أحسن) (١)

فمن أدب الواعظ أن لا يكذب فعله قوله . ولا يخالف ظاهره باطنه . بل لا يأمر بالشئ مالم يكن هو أول عامل به . ولا ينهى عن الشئ مالم يكن هو أول تارك له .

الموعوظ :

هو من توجه إليه الموعظة . وقد يكون فرداً رجلاً أو امرأة .. وقد يكون جماعة من الرجال أو النساء أو منهما .. ،وقد يكون حاكماً . أو محتسباً عليه . أو زوجة . أو ولداً ... والمتعظ من قبل الموعظة والتزم بها .

جاء فى لسان العرب (اتعظ هو : قبل الموعظة . حين يذكر الخبر) (٢)

وجاء فى المنجد (اتعظ : قبل الموعظة وعمل بها) (٣)

أصناف الموعوظين :

الناس يتفاوتون عند سماع الموعظة ، وليس كل من استمع إلى الموعظة تأثر بها كما أنه ليس كل من استمع إلى الدليل اقتنع .

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسى حـ ٣ ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٢) لسان العرب حـ ٦ ص ٤٨٧٣ . ومختار الصحاح ص ٧٢٩ .

(٣) المنجد فى اللغة والأعلام ص ٩٠٨ .

قال ابن الجوزى مبنيا تفاوت الناس فى تقبل المواعظ :

(قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة . فإذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القساوة والغفلة فتدبرت السبب فى ذلك فعرفته .

ثم رأيت الناس يتفاوتون فى ذلك . فالحالة العامة أن القلب لا يكون على صفته من اليقظة عند سماع الموعظة وبعدها لسببين :

أحدهما أن المواعظ كالسياط ، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها ، إيلامها وقت وقوعها .

والثانى : أن حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مزاح العلة . قد تخلى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا . وأنصت بحضور قلبه . فإذا عاد إلى الشواغل اجتذبته بآفاتها . وكيف يصح أن يكون كما كان .

وهذه حالة تعم الخلق . إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون فى بقاء الأثر .

فمنهم من يعزم بلا تردد . ويمضى من غير التفات . فلو توقف بهم ركب الطبع لضجوا . كما قال حنظلة عن نفسه : نافق حنظلة .

ومنهم أقوام يميل بهم الطبع إلى الغفلة أحياناً . ويدعوهم ما تقدم من المواعظ إلى العمل أحياناً . فهم كالسنبلة تميلها الرياح .

وأقوام لا يؤثر فيهم إلا بمقدار سماعه . كماء دحرجته على صفوان) (١)

وعدم تأثر الموعوظ بالموعظة يرجع إلى ما يلى :

إما لعيب فى الواعظ . فى آدابه ومميزاته .

وإما لخلل فى الموعظة . فى مادتها . وزمانها . ومناسبتها . وأسلوبها .

وإما العيب فى الموعوظ . كالإنصراف والإعراض وعدم الاهتمام والإلتفات إليها .

فإن كان العيب فى الواعظ . فعليه معالجته بالتحلى بالأخلاق والتمتع

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزى ص ١ ، ٢

بالمميزات السابقة . حتى يتمكن من أداء رسالته على الوجه الذى يرضى الله تعالى .

وإن كان الخلل فى الموعظة : فعليه أن يقوى مادتها ويقوم بترتيبها ويتخير لأدائها أحسن الأوقات وأفضل المناسبات . وأن يقدمها فى قالب لفظى رشيق . وأسلوب يقطر عذوبة . ويفيض رقة . مع الحرص والتكرار والوضوح .

وإن كان العيب فى الموعوظ . كانصراف وعدم اهتمام فعلى الواعظ أن يعرف سبب انصرافه وإعراضه ويقوم بمعالجته بسياسة وحكمة ولاينسى قول القائل : إن لهذه القلوب تنافراً كتنافر الوحش فتألفوهم بالاقتصاد فى التعليم ، والتوسط فى التقديم . لتحسن طاعتها . ويدوم نشاطها (١)

والتفاوت عند سماع الموعظة وفى قبولها يؤكد أن الناس ليسوا سواء فى الاستجابة إلى الحق وقبول الدعوة . فمنهم السريع جداً فى الاستجابة ومنهم البطئ جداً ومنهم بين هذين الحدين فى درجات كثيرة جداً .

فعلى الواعظ أن يستمر فى وعظه ونصحه . بلا يأس ولا توقف . موقناً بأنه إن لم يظهر تأثيره اليوم . فغداً يظهر . مؤمناً بأن قلوب العباد بيد الله تعالى . وأن الحق قوى والباطل زهوق . ولابد من يوم يتغلب فيه الحق على الباطل .

شروط الاتعاظ :

إذا كان من حق الموعوظ أن يؤتى ويوعظ . وأن لا يستهان به . فإن عليه أن يستجيب ويتعظ ويقبل الموعظة وينتفع بها .

وحتى يستفيد الموعوظ من الموعظة عليه أن يلتزم ما يلى :

---

(١) أدب الدنيا والدين . للماوردى ص ٤٣ .

(١) جودة السمع :

أن يجلس الموعظ بين يدى الواعظ بتواضع وخشوع وسكون . ويصغى إليه ناظراً إليه . ويقبل بكليته عليه متعقلاً لقوله ولا يلتفت من غير ضرورة ولا ينظر إلى أى ناحية بغير حاجة . ولا يعبث بيديه أو رجليه أو غيرهما . قال تعالى(**إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**) (١)

فجودة السمع من شروط الاتعاظ .

(٢) حضور القلب :

ينبغى للموعوظ أيضاً أن يجلس بين يدى الواعظ وقلبه فارغ من الشواغل وذهنه صاف . فإن الفكرة متى توزعت قصرت عن درك الحقائق . وغموض الدقائق . وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه .

قال الشيخ سيد قطب رحمه الله فى قوله تعالى (**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**) (٢)

(والعظة البالغة لا ينتفع بها إلا القلب التلقى الذى يخفق لها ويتحرك) (٣)

وقال مالك بن دينار : إن البدن إذا سقم لم ينجع فيه طعام ولاشراب ولانوم ولاراحة . وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة) (٤)

وقال ابن عبد ربه (والموعظه ثقيلة على السمع . محرجة على النفس . بعيدة من القبول.. إلا من وعظه علمه .. وأرشده قلبه وأحكمته تجربته) (٥)

وقال الحسن البصرى (يالها من موعظه لوصادفت من القلب حياة) (٦)

---

(١) سورة ق الآية : ٣٧

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٨

(٣) فى ظلال القرآن . سيد قطب . جـ ١ ص ٤٨٠

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . الأصبهانى جـ٢ ص ٣٦٣

(٥) العقد الفريد . ابن عبد ربه جـ ٣ ص ١٤٠

(٦) المصدر السابق جـ ٣ ص ١٤١

(٣) شدة الافتقار إلى الموعظة :

أن يشعر الإنسان بحاجته إلى الموعظة . كالمريض الذى يشعر بحاجته إلى العلاج .

قال ابن القيم (إنما يشتد افتقال العبد إلى العظة - وهى الترغيب والترهيب - إذا ضعفت إنابته وتذكره . وإلا فمتى قويت إنابته وتذكره : لم تشتد حاجته إلى التذكير والترغيب والترهيب . ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهى .

و« العظة » يراد بها أمران : الأمر والنهى المقرونان بالرغبة والرهبة ونفس الرغبة والرهبة . فالمنيب المتذكر : شديد الحاجة إلى الأمر والنهى والمعرض الغافل شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب) (١)

والإنسان عندما يشعر بحاجته إلى الموعظة .. إذا لم تأته أتاها . وإذا لم تطلبه طلبها . وقد طلبها كثير من الناس من الوعاظ .

قال رجل لبعض الحكماء : عظنى . قال : لا يراك الله بحيث نهاك . ولا يفقدك من حيث أمرك . (٢)

وقيل لحكيم : عظنى . قال : جميع المواعظ كلها منتظمة فى حرف واحد . قال : وما هو ؟ قال : تجمع على طاعة الله . فإذا أنت قد حويت المواعظ كلها . (٣)

وقال أبو جعفر لسفيان عظنى . قال : وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت . (٤)

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية ط ص ٣٣٥
(٢) العقد الفريد حـ ٣ ص ١٥٠
(٣) العقد الفريد حـ ٣ ص ١٥٠
(٤) المرجع السابق حـ ٣ ص ١٥٠

وقال هارون لابن السماك : عظنى . قال : كفى بالقرآن واعظاً . (١)

إن حاجة الإنسان إلى الموعظة تجعله يستمع إلى الواعظ وهو حاضر القلب . ولذا ينبغى للواعظ أن ينتهز الفرصة ويعظة موعظة بليغة.

(٤) مجاهد النفس :

ومن أهم شروط الاتعاظ والانتفاع بالموعظة مجاهد النفس بالرياضة والتهذيب . وفطمها عن المعاصى . وإبعادها عن الذنوب . وإيقاظها بالذكر من الغفلات . وبالطاعة من الخمول .

قال ابن القيم (إن الناس على قسمين : قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعاً لها تحت أوامرها : وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها فصارت طوعاً لهم منقادة لأوامرهم) (٢)

والإنسان إذا لم يملك نفسه ويحرسها لا تقبل نصيحة . ولا تعمل بموعظة . ولا تقوم بطاعة . ولا تترك شهوة . واستشاطت نافرة . ولجت معاندة . فلم تنقد إلى طاعة . ولم تنكف عن معصية .

(٥) العمى عن عيب الواعظ :

ليس من حق المستمع أن يفتش عن الواعظ . ويرد موعظته لعيب فيه .

فأمره إلى الله تعالى . ولايشتغل بهذا العيب . ولكن عليه أن يأخذ الموعظة . وينتفع بها . فالطبيب قد يصف دواء لمرض به مثله .

جاء فى مدارج السالكين (وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء : شدة الافتقار إليها . والعمى عن عيب الواعظ . وتذكر الوعد والوعيد .. وأما العمى عن عيب الواعظ : فإنه إذا اشتغل به حرم الانتفاع بموعظته لأن

---

(١) المرجع السابق حـ ٣ ص ١٥٠

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . لابن القيم حـ ١ ص ٧١

النفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به .. فالعمى عن عيب الواعظ : من شروط تمام الانتقاع بموعظته) (١)

والموعظة كالغيث الذى أصاب أرضاً .. فإذا لم ينتفع الواعظ بعلمه انتفع الموعوظ ... وقامت الحجة على الواعظ . واستحق العذاب فى الآخرة .

قال ﷺ (**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور فى النار كما يدور الحمار بالرحى . فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : ألست كنت تأمرنا بالمعروف . وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه . وأنهاكم عن المنكر وآتيه**) (٢)

فإذا لم ينتفع الموعوظ بموعظة الواعظ الذى لم يعمل بعلمه . فالواعظ والوعوظ فى النار .

(٦) تذكر الوعد والوعيد :

ومن أهم الأمور التى تدفع المستمع إلى الإتعاظ تذكر الوعد والوعيد .

وعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الخير . وحسن المثوبة .

ووعيد المخالفين الذين أعرضوا عن الخير بشديد العذاب وسوء العاقبة .

قال ابن القيم (وأما تذكر الوعد والوعيد : فإن ذلك يوجب خشيته والحذر منه ولا تنفع الموعظة إلا لمن آمن به . وخافه ورجاه . قال تعالى : « **إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة** » (٣) . وقال : « **سيذكر من يخشى** » (٤)

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم جـ ١ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح جـ ١٣ ص ٤٨ « كتاب الفتن » باب الفتنة التى تموج كموج البحر . صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ١١٨ ك الزهد . باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ، وجمع الجوامع العدد الأول جـ ٦ ص ٦٤ ، والترغيب والترهيب جـ ١ ص ٥

(٣) سورة هود الآية : ١٠٣

(٤) سورة الأعلى الآية : ١٠

وقال : « **إنما أنت منذر من يخشاها** » (١) وأصـرح من ذلك قوله تعالى : « **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** » (٢) فالإيمان بالوعد والوعيد وذكره : شرط فى الانتفاع بالعظات والآيات والعبر . يستحيل حصوله بدونه) (٣)

أما الذين لا يؤمنون بالوعد والوعيد . لا يتأثرون بموعظة . ولا ينفعون بنصيحة .

قال تعالى (وإذا ذكروا لا يذكرون) (٤) . وقال تعالى (فمالهم عن التذكرة معرضين) (٥)

وبالجملة ينبغى على الموعوظ أن يتحلى بالإنصاف (فخير الموعظة ماكانت من قائل مخلص إلى سامع منصف) (٦)

والإخلاص بأن يقصدبها تنوير قلبه وتحلية باطنه والقرب من الله تعالى . والطهارة الباطنه والظاهرة من شوائب المخالفات .

والتوبة من أهم ما ينبغى أن يتحلى به الموعوظ لتطهير قلبه استقبالاً للموعظة . والتأثربها . فإذا تاب صقل القلب وأضاء . فإذا لا قته الموعظة لاقت قلباً مصقولاً فصارت المواعظ له عياناً كانه يشاهدها بعينى الفؤاد . ما يوصف له .

قال تعالى (وما يتذكر إلا من ينيب) (٧)

---

(١) سورة النازعات : الآية : ٤٥

(٢) سورة ق الآية : ٤٥

(٣) مدارج السالكين حـ١ ص ٣٣٦

(٤) سورة الصافات الآية : ١٣

(٥) سورة المدثر الآية : ٤٩

(٦) الأمثال من الكتاب والسنة – الترمذى ص ١٧٤

(٧) سورة غافر الآية : ١٣

العظة :

جاء فى المعجم الوسيط (الموعظة : ما يوعظ به من قول أوفعل ج مواعظ) (١)

وجاء فى المنجد فى اللغة والأعلام (العظة : ج عظات : كلام الواعظ . والوعظة : ج وعظات : المرة من وعظ كلام الواعظ . الموعظة : ج مواعظ اسم من الوعظ كلام الواعظ) (٢)

وجاء فى الوافى (الموعظة اسم من الوعظ . و ـ كلام الواعظ من النصح والحث والانزار ج مواعظ) (٣)

من خلال ذلك يتبين أن العظة والموعظة والوعظة بمعنى واحد . وهو كلام الواعظ وما يقدمه للموعوظ من النصح والتذكير بالترغيب والترهيب على الوجه الذى يرق له القلب ويبعث على العمل .

طرق الموعظة :

الموعظة تكون بالقول أو الفعل أو بالقدوة .

الموعظة بالقول :

الموعظة بالقول هى الأصل فالقرآن الكريم وهو موعظة ورحمة قول رب العالمين والأنبياء والرسل عليهم السلام وعظوا بالقول . وكذلك رسول ﷺ وأصحابه رضى الله تعالى عنهم والتابعون لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين فلا يجوز للواعظ أن يغفل مكانة القول فى الموعظة وقد أطلق ابن القيم فى مدارج السالكين على الموعظة بالقول الموعظة بالمسموع .

(فالعظة بالمسموع : الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد . والنصائح

---

(٨) المعجم الوسيط جـ٢ ص ١٠٨٦ والوجيز ص ٦٧٥

(٢) المنجد فى اللغة والإعلام ص ٩٠٨

(٣) الوافى (معجم وسيط فى اللغة) ص ٧١١

التى جاءت على لسان الرسل وما أوحى إليهم . وكذلك الانتفاع بالعظة من كل ناصح ومرشد فى مصالح الدين والدنيا) (١)

الموعظة بالكتابة :

الكتابة نوع من أنواع القول وتؤدى ما يؤدى إليه القول بالنسبة لمن لا يمكن للواعظ المشافهة معهم .

والعرب تقول : الخط أحد اللسانين وحسنه إحدى الفصاحتين (٢)

وقال ابن المقفع : اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم على الشاهد والغائب (٣)

والواعظ قد لا يجد فرصة لمشافهة الموعوظ فيلجأ إلى الكتابة .. وقد تكون الكتابة فى بعض الحالات أفضل من المشافهة .. وقد تقتضى الظروف ذلك . فعن عامر قال : كتبت عائشة رضى الله تعالى عنها إلى معاوية : أما بعد فإن العبد إذا عمل بمعصية الله عز وجل عاد حامده من الناس ذاماً (٤)

وعن عبيد الله بن أبى المغيرة القرشى . قال : كتب إلى الفضل بن عيسى الرقاشى أما بعد : فإن الدار التى أصبحنا فيها دار بالبلاء محفوفة . وبالفناء موصوفة . كل ما فيها إلى زوال ونفاد . والسرور فيها لا يدوم . وكيف يدوم عيش تغيره الآفات . وتنوبه الفجيعات .. (٥)

الموعظة بالفعل :

إن كان الموعوظ يتعظ بما يسمعه من القول المبين .. فإنه يتعظ كذلك بما

---

(١) مدارج السالكين حـ ١ ٣٣٤

(٢) أدب الدنيا والدين الماوردى ص ٤٤

(٣) المرجع السابق ص ٤٤

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزى حـ١ ص ٢٦٦

(٥) حلية الأولياء . الأصبهانى حـ ٦ ص ٢٠٦

يراه في الكون الفسيح من آيات وأحداث .

قال ابن القيم : (و« العظة » بالمشهود : الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العبر . وأحكام القدر . ومجاريه ، وما يشاهده من آيات الله الدالة على صدق رسله) (١)

قال بعض الحكماء : ما طلعت شمس إلا وعظت بأمس .

وقال أبو محرز الطفاوي : كفتك القبور مواعظ الأمم السابقة .

وقيل لبعض الزهاد ما أبلغ العظات قال : النظر إلى محلة الأموات .

وقال بعض الصلحاء : لنا من كل ميت عظه بحاله وعبرة بماله .

وقال بعض العلماء : من لم يتعظ بموت ولد لم يتعظ بقول أحد . (٢)

ولأن الانسان يتعظ بما يراه . أمره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالنظر إلى الآيات الكونية والإنسانية . والسير في الأرض والتأمل في عاقبة المجرمين . وزيارة القبور ... وأن يتأمل ويتدبر فيما يراه حتى يتعظ .

الموعظة بالقدوة :

جاء في مختار الصحاح (السعيد من (وعظ) بغيره والشقي من (اتعظ) به غيره) (٣)

القدوة الحسنة من أخص صفات الداعية حتى يتمكن من التأثير في الناس فالناس لا يتأثرون بلسان المقال بقدر ما يتأثرون بلسان الحال .

قال د / عبد الله الشاذلي (ومن الناحية النفسية تعتبر الموعظة بالقدوة أكثر تأثيراً من القول وأقرب قبولاً لدى النفس . لأن نفوسنا قد تتأبى على

---

(١) مدارج السالكين جـ١ ص ٣٣٤

(٢) أدب الدنيا والدين . الماوردي ص ١٠٥ ، ١٠٧

(٣) مختار الصحاح الرازي ص ٧٢٦

الاستجابة بحكم ميلها إلى الشهوة . وحرجها أمام من يوعظها . وذلك بخلاف القدوة فإن النفس هنا هى التى تتجه بذاتها إلى حال الواعظ فتعتبر به . ويكون اتعاظها نابعاً منها هى بايحاء خفى من صاحب الحال) (١)
والقدوة الحسنة من أفضل وسائل نجاح الموعظة وأعظم مناهجها . لأن كل موعظة تظل مجرد فكرة . إلى أن تتحول إلى حقيقة واقعة . بواعظ مخلص يجعلها بسلوكه وتصرفاته واقعاً ملموساً . ويكون بذلك قدوة لغيره . وصورة حية للموعظة . وعند ئذ تتعلق به القلوب بسهولة .

فليحرص الداعية أن يكون قدوة للناس بفعله .

شروط الموعظة :

الموعظة تواجه النفس البشرية لا فى مداركها ووعيها ولكن فى شهواتها وأهوائها .. ولذا فإن الموعظة تواجه فى كثير من الأحيان بالعصيان والإنكار وعدم القبول .

قال ابن عبد ربه (والموعظة ثقيلة على السمع . محرجة على النفس بعيدة من القبول . لاعتراضها الشهوة . ومضادتها الهوى الذى هو ربيع القلب . ومراد الروح . ومربع اللهو ومسرح الأمانى) (٢)

ولما كانت النفس مع الموعظة على هذا الحال فإن القرآن الكريم قد اشترط فى الموعظة أن تكون حسنة .

قال د / عمارة نجيب (ووصفها بالحسن يعنى مراعاة الأسلوب المناسب والوقت المناسب والأداة أو الوسيلة المناسبة لحال المخاطب) (٣)

وعلى هذا لا تكون الموعظة حسنة إلا إذا تحققت فيها الشروط الآتية :

---

(١) مدخل إلى الاستدلال القرآنى .د/ الشاذلى ص ١٢٤

(٢) العقد الفريد حـ ٣ ص ١٤٠

(٣) فقه الدعوة والإعلام .د/ عمارة نجيب ص ٤٦

(١) الأسلوب المناسب :

فقد تقع الموعظة لكنها بغير الأسلوب المناسب للموعوظ فلا تؤثر وقد تؤدى إلى عكس الهدف منها .

فقد ينذر الواعظ من يحتاج إلى التبشير . وقد يعد من يحتاج إلى وعيد . وقد يرغب فى حالة تستوجب الترهيب . وقد يأمر وهو لابد أن ينهى . إلى غير ذلك من مخالفات تبعد الموعظة عن الحس فى الأسلوب مثلاً .

(٢) الوقت المناسب :

فقد تقع الموعظة لكنها فى وقت غير مناسب . كأوقات النوم . والعمل والجوع والعطش والحر والمطر فلا يتأثر الموعظ بها .

والواعظ الموفق هو الذى يتحرى أوقات الفراغ . والنشاط . والحاجة عند الموعوظين حتى لا يملوا عن الاستماع ويفوتهم من الإرشاد والتعليم النافع والنصائح الغالية الشئ الكثير .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إن للقلوب شهوة وإقبالاً وفترة وإدباراً فخذوها عند شهوتها وإقبالها . وذروها عند عند فترتها وإدبارها (١)

وعلى الواعظ أن يعلم أن أوقات الفراغ تختلف من مكان لآخر . فأوقات الفراغ فى المدينة تختلف عن أوقات الفراغ فى القرية .

(٣) الوسيلة المناسبة :

قد تكون الموعظة بالقول أنفع من الموعظة بالفعل ... وقد يكون الدرس أنفع للقوم من الخطابة لاشتماله على الأخذ والرد .. وقد تفضل الخطابة الواحدة ألف درس فى بعض المجتمعات والأوساط وقد تكون الوسيلة المناسبة القدوة الحسنة .

---

(١) أدب الدنيا والدين . الماوردى ص ٥٠

فإذا خرجت الموعظة عن حسنها فى الأسلوب والوقت والوسيلة كانت مدعاة إلى رفضها ، من ذلك :

قال رجل للرشيد : ياأمير المؤمنين . إنى أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها . قال : كلا . إن الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شرمنى . قال لنبيه موسى عليه السلام إذ أرسله إلى فرعون : (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) (١)

ووعظ رجل المأمون فأصغى منصتاً فلما فرغ قال : قد سمعت موعظتك فاسأل الله أن ينفعنا بها وبما علمنا . غير أنا أحوج إلى المعاونة بالفعال منا إلى المعاونة بالمقال فقد كثر القائلون . وقل الفاعلون (٢)

مصدر الموعظة :

المواعظ لها مصادر متعددة وهذه المصادر هى :

١ - المصدر الإلهى :

فقد تكون كلاماً ربانياً كالمواعظ التى جاءت فى القرآن الكريم . والتى جاءت في التوراة والإنجيل قبل تحريفهما وتبديلهما .

قال تعالى (**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**) (٣)

وقال تعالى عن موسى عليه السلام (**وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين**) (٤)

---

(١) العقد الفريد حـ٣ ص ١٦٥

(٢) المصدر السابق حـ ٣ ص ١٦٦

(٣) سورة يونس الآية : ٥٧

(٤) سورة الأعراف الآية : ١٤٥

وقال تعالى عن عيسى ﷺ (**وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوارة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين**) (١)

٢- المصدر النبوى :

وقد تكون الموعظة كلاماً نبوياً . كالمواعظ التى جاءت على ألسنة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام . والأنبياء والمرسلون تميزوا على غيرهم فى كثير من الجوانب البشرية . وكان فضل الله تعالى عليهم عظيماً .

٣- المصدر البشرى العادى :

كمواعظ الحكماء . ومواعظ الآباء للأبناء . ومواعظ ومقامات العباد عند الخلفاء .

فمن مواعظ الحكماء قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

(من أراد الغنى بغير مال . والكثرة بلا عشيرة فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة . أبى الله إلا أن يذل من عصاه) (٢)

ومن مواعظ الآباء للأبناء قول عمر بن الخطاب لابنه :

من اتقى الله وقاه . ومن اتكل عليه كفاه . ومن شكر له زاده . ومن أقرضه جزاه . فاجعل التقوى عمارة قلبك . وجلاء بصرك . فإنه لا عمل لمن لانية له . ولا خير لمن لا خشية له . ولا جديد لمن لا خلق له) (٣)

ومن مواعظ العباد بين أيدى الخلفاء موعظة سفيان الثورى لأبى جعفر :-

لقى أبو جعفر سفيان الثورى فى الطواف . وسفيان لا يعرفه . فضرب بيده على عاتقه وقال : أتعرفنى . قال : لا ولكنك قبضت على قبضة جبار.قال

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٦

(٢) العقد الفريد جـ٣ ص ١٤٧

(٣) العقد الفريد [illegible] ١٥٥

عظنى أبا عبد الله . قال : وما علمت فيما علمت فأعظك فيما جهلت ؟ قال : فما يمنعك أن تأتينا ؟ قال إن الله نهى عنكم فقال تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) فمسح أبو جعفر يده به ثم التفت إلى أصحابه فقال : ألقينا الحب إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فراراً) (١)

ومن تلك المصادر والاعتبارات تتفاوت المواعظ قوة وضعفا . وعموما وخصوصاً . وديناً ودنيا .

تفاوت الموعظة باعتبار المصدر :

إن أجمل المواعظ أسلوباً وأوضحها معنى . وأقربها فهماً . وأقواها تأثيراً . وأعمقها دقةً وأعذبها رقةً . وأسرعها استمالة . المواعظ القرآنية . ثم المواعظ النبوية . ثم بعد ذلك تقوى المواعظ وتضعف .

قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد :

(فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال الله تبارك وتعالى : **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)** إلى آخر السورة . وقال جل ثناؤه : **(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)** . وقال : ـ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) إلى قوله **(عليم)** فهذا أبلغ الحجج وأحكم المواعظ .

ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم . ثم مواعظ الآباء للأبناء . ثم مواعظ الحكماء ، والآدباء . ثم مقامات العباد بين أيدى الخلفاء) (٢)

---

(١) المصدر السابق حـ ٣ ص ١٦٥

(٢) العقد الفريد حـ ٣ ص ١٤٠ .

ولما كانت المواعظ المستندة إلى وحى أبلغ هذا النوع من القول . فإن الوعاظ المتخصصين بالذات قد صدروا مواعظهم غالباً بأدلة نقلية من الكتاب والسنة ثم خاضوا فيما يريدون الخوض فيه وأحياناً يضمنون مواعظهم معانى القرآن الكريم أو الحديث الشريف . أو يقتبسون منهما اقتباساً وربما رفض بعضهم أن يتجاوز المواعظ النصية (١)

ومن المواعظ النصية موعظة ابن السماك للرشيد :

(دخل عليه فلما وقف يديه قال له : عظنى يا ابن السماك وأوجز . قال : كفى بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين . قال الله تعالى : (**بسم الله الرحمن الرحيم . ويل للمطففين) الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون** : (إلى قوله (**لرب العالمين**) . هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف فى الكيل فما ظنك بمن أخذه كله) (٢)

فليحرص الواعظ على الأخذ من كتاب الله سبحانه . وسنة رسول الله ﷺ حتى تؤثر موعظته . ويثمر إرشاده .

---

(١) مدخل إلى الاستدلال القرآنى . د/ عبد الله الشاذلى ص ١٠٨

(٢) العقد الفريد حـ٣ ص ١٦٤

أنـواع الموعظة :

الوعظ نوعان : وعظ تعليم . ووعظ تأديب .

وعظ التعليم

وهو الوعظ الذى يكون موضوعه عقائد التوحيد أو الأحكام الشرعية الخمسة الواجب والحرام والمسنون والمكروه والمباح .

وينبغى للواعظ عندما يقوم ببيان عقائد التوحيد أن يستند إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة . وأن يجتنب الشوائب والزوائد والفضول . وأن يتبع منهج القرآن فى مخاطبة العقل والقلب (١) معاً والاهتمام بأدلة القرآن الكريم التى ذكرها لاثبات معتقداته وإقتاع مدعويه والرد على خصومه . وأن يتبنى طريقة السلف فى وصف الله تعالي بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ... وأن يراعى فى ذلك كله ما يناسب كل طبقة وعندما يقوم ببيان الأحكام الشرعية الخمسة عليه أن يسلك مسلك القرآن الكريم .. بعيدا عن السرد الخالى من وسائل التأثير .

قال الاستاذ عبد الله ناصح علوان (فالداعية الناجح هو الذى يعظ الناس ويفقههم . بحيث لا يطغى وعظه على فقهه . ولا فقهه على وعظه .. فهذا يكون أكثر تشويقا . وأحسن جاذبية فى ميادين التبليغ والدعوة إلى الله) (٢)

وينبغى للواعظ أن يحرص على ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة والاجماع والقياس والاستصحاب ... وأن يحرص أيضاً أن يقتدى بالقرآن والسنة فى تعليل الأحكام وبيان حكمها وثمرتها وربطها بالفلسفة العامة

---

(١) بناء العقيدة على العقل وحده اتجاه الفلاسفة . وعلى القلب وحده اتجاه الصوفية

(٢) ثقافة الداعية . عبد الله ناصح علوان ص ٥٥ ، وثقافة الداعية القرضاوى ص ٧٠

للإسلام حتى تقع من النفس موقع القبول وتأخذ بمجامع القلوب .

قال الشيخ على محفوظ فى هداية المرشدين :

(**ألا ترى قوله تعالى " ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم اتقوا الله "** فإن الأمر بالتقوى بعد النهى عن إتيان النساء فى المحيض والأمر بإتيانهن فى موضع الحرث . والأمر بالتقديم لأنفسنا تحذير من مخالفة هذا الهدى الإلهى . وقوله تعالى (**واعلموا أنكم ملاقوه**) إنذار للذين يخالفون عن أمره بأنهم يلاقون جزاء مخالفتهم فى الآخرة كما يلاقونها فى الدنيا بفقد منافع الطاعة والامتثال. وتجرع مرارة مغبة المخالفة والعصيان وقوله تعالى (**وبشر المؤمنين**) تبشير للطائعين الذين يقفون عند الحدود . ويتبعون هدى الله تعالى فى أمر النساء والأولاد . والمبشر به عام يشمل منافع الدنيا ونعيم الآخرة) (١)

إن الواعظ إذا التزم أسلوب القرآن يخلق فى نفوس المخاطبين الهيبة والمراقبة والارتياح ، والشعور بالفائدة العاجلة والآجلة . التى تدعو إلى المسارعة والامتثال .. فضلا عن الخوف من عقاب الله وغضبه . والطمع فى ثوابه ورضاه . وهى خاصية الوازع الدينى .. وبذلك يسترعى الأسماع . ويلفت الأنظار .

وعظ التأديب :

وهو الوعظ الذى يكون موضوعه الأخلاق . الحسنة والسيئة .

قال الشيخ على محفوظ : (وينبغى للمرشد أن يستشهد فى كل من النوعين بما جاء فيه من الكتاب والسنة الصحيحة . وآثار السلف الصالح

---

(١) هداية المرشدين . الشيخ على محفوظ ص ١٤٣ - ١٤٤

من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأحوالهم فى ذلك رضى الله عنهم أجمعين) (١)

ولا يفوت الواعظ فى الوعظ التأديبى الحديث عن أهمية الأخلاق وحرص الإسلام على صلاح النفوس . وبيان مكانة الأخلاق فى الإسلام . وذكر خصائصها . وصلتها بالإيمان وتقوى الله . والجزاء عليها بالثواب الحسن للطائعين والعقاب للمخالفين . ثم يبين لهم كيفية تقويم الأخلاق . وذكر وسائل تقويمها ... وذلك فى التعميم والتفصيل .

قال د/ يوسف القرضاوى (ومن ثم لابد للداعية من الاستفادة بعلوم التربية وخبرات المربين . وتجاربهم العديدة المتنوعة فى مجالات تعليم الكبار والصغار . والانتفاع بالأصيل الجيد من أصول التربية وطرائقها فى حسن توجيه المخاطبين . وإيصال المعرفة إليهم . وكيف يمكن التأثير فى عقولهم وعواطفهم . وإثارة حوافز الخير فى أنفسهم . ومطاردة نوازع الشر بين جنوبهم . مع وجوب الاحتراز من النزغات الهدامة والشطحات المتطرفة فى الفلسفات التربوية الحديثة والمعاصرة) (٢)

من خلال ذلك يتبين لنا أن الموعظة الحسنة . شملت الإسلام كله عقيدة وشريعة وأخلاقاً بالدعوة . فليحرص الواعظ على أن يعطى كل ركن حقه من الموعظة . وكل طبقةحاجتها بما يناسبها .

إعداد الموعظة :

الموعظة ليست بالأمر الهين وهى لا تقابل بالسكون والاستجابة الفورية . وحتى تنجح الموعظة . وتصيب الهدف . وتحقيق الغاية . وتظفر بالاستجابة

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٥ .

(٢) ثقافة الداعية . د/ القرضاوى ص ١١٢ .

والقبول . لابد من إعداها إعداداً جيداً محكماً . مراعياً فيها ما يلى :

أولاً : اختيار الموضوع المناسب :

أن يقوم الواعظ باختيار موضوع الموعظة من واقع حياة الناس . وكل بيئة لها أمراضها .. واختيار الموضوع من الأمور الشاقة . إذ ليس كل موضوع يهم الناس يمكن أن يتعرض له الواعظ . ولكن الواعظ الماهر يمكن أن يواجه الموضوع الخطر أو المحظور من جوانب خلفية تثير الناس وتجعلهم من تلقاء أنفسهم يصلون الموعظة بالأمر الذى يعانونه .

قال الشيخ على محفوظ فى " هداية المرشدين "

[من أراد العظة البليغة والقولة المؤثرة فليعمد إلى المنكرات الفاشية ولا سيما ما كان منها قريب العهد . وحديثه على ألسنة أو ذائعاً فى الصحف . ثم يقدم من هذه الوقائع أكبرها ضرراً أو أسوأها أثراً . فيجعله محور خطابته وموضع عظته . ثم يفكر فيما ينشأ عن هذا الحادث أو المنكر من الأضرار الخلقية والاجتماعية والصحية والمالية . ويحصى هذه المضار فى نفسه أو بقلمه . ثم يستحضر ما جاء فيه من الآيات والأحاديث الصحيحة وآثار السلف ... وما ورد فيه عن الشارع محذراً من الوقوع فيه حاثاً على التوبة منه . هذا إذا أراد الاقلاع عن جريمة أو التنفير من رذيلة .

فإذا أراد الحض على عمل صالح أو مشروع نافع . أو الحث على خلق فاضل فليفكر فى مزاياه وآثاره الحسنة تفكيراً عميقاً . وليستحضر ما يناسبه من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح] (١)

ثانياً : ترتيب عناصر الموعظة :

ومن أهم مراحل إعداد الموعظة بعد استحضار ما جاء فيها من الآيات

---

(١) هداية المرشدين الشيخ على محفوظ ص ١٤٦ .

والسنة أن يقوم الواعظ بترتيب عناصر الموعظة ترتيباً منطقياً .

قال الشيخ على محفوظ (ومن النافع فى مثل هذا الحال تقسيم الموضوع بحسب نقطه إلى أقسام كى يسهل عليه استحضاره عند إلقائه ، ويسير فيه بانتظام مستوفياً كل ما يحتاج إليه . وبإعداد الموضوع على هذا الطريق الذى رسمنا يكون الخطيب فى مأمن من الزلل والاضطراب وتبقى للموضوع صورة ثابتة فى نفوس سامعيه وتعظم الفائدة . أما بدون إعداد الموضوع واستحضاره تماماً . وتقسيمه قبل الدخول فيه فلا يأمن أن يتخبط فيه ويسير فى التأدية مشوشاً مضطرباً ولا يبقى له مثال فى نفوس السامعين ولا يحصلون منه على الغاية المقصودة ويسرع إليهم نسيانه) (١)

والترتيب فى كل قول وعمل له فوائد كثيرة : وفى الدعوة إلى الله تعالى أكثر وهو من الحكمة فى الدعوة . ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً . وهو وسيلة جيدة لابد منها لحسن استخدام الجهود وتوجيهها على نحو مثمر فى مجال الدعوة إلى الله .. وبدون الترتيب تتبعثر الجهود ويكون السير على غير هدى .

ثالثاً : الإلقاء الجيد :

الإلقاء من أهم العوامل فى نجاح الموعظة أو فشلها . فقد تكون الموعظة جيدة المعانى والأفكار حسنة العبارات والأسلوب . ثم لا تظفر بإلقاء جيد فتضيع فائدتها إذ لا تؤثر فى السامعين . ولا تجتذب انتباههم . وقد تكون الموعظة أقل من ذلك إعدادها وتكوينها ولكن جودة الإلقاء تنهى إلى السامع كل جزئية منها فتكون فائدته منها أكبر وأكثر والواعظ الموفق هو الذى يستطيع أن يوثر فى الموعوظ ويشد انتباهه ويربطه به .

---

(١) هداية المرشدين الشيخ على محفوظ ص ١٤٧ .

والإلقاء الجيد يحتاج إلى جهارة الصوت . وحسن مخارج الحروف . وأن تكون لدى الواعظ مهارة تعينه على تلوين الصوت وتكييفه . وخير المواعظ ما جمع بين حسن التأليف وحسن التأثير .

ومن قواعد الإلقاء الجيد أن يراعى الواعظ حال السامعين واستعدادهم .

قال الشيخ على محفوظ (فيتنزل فى العبارة مع العامة على قدر عقولهم متجنباً الألفاظ اللغوية البعيدة عن مداركهم . ويتوسط مع الأوساط . ويتأنق مع الخاصة . فيكون مع جميع الطبقات حكيماً يضع الأشياء فى مواضعها) (١)

ومن قواعد الإلقاء الجيد أيضا أن يقتصد فى الموعظة مع العامة . وأن يختصرها مع الحكام . وأن يتحلى بالرفق واللين مع الجميع .

مراجع الوعظ :

مراجع الوعظ على قسمين أولية وثانوية .

المراجع الأولية : هى العلوم الدينية التى أساسها التوحيد وينبوعها الصافى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

فعلم العقائد : مبناه آيات التوحيد . ولا تزال آيات التوحيد قائمة إلى يوم القيامة صالحة لتخاطب جميع العالم على اختلاف العقول والمشارب والملل والنحل . وهى بحقيتها وقوتها داحضة لكل شبهة رغم إلحاد الملحدين وزيغ المارقين .

وعلم التكاليف العملية : التى سرها حفظ نظام العالم وإصلاح حالى المعاش والمعاد وأيضا الابتلاء والاختبار ، فإن كان من العبد الامتثال فالمثوبة وإن كان الإباء فالعقوبة . مرجعه أيضا آيات الأحكام والسنة الغراء.

(١) هداية المرشدين الشيخ على محفوظ ص ١٤٧ .

وعلم الأخـــلاق : الذى غايته إصلاح النفوس . وإعداد الإنسان لأن إنساناً حقيقياً للخلافة عن الله عز وجل فى أرضه هو معظم آيات الكتاب الحكيم والسنة الشريفة .

وقسم السمعيات : كذلك مرجعه الكتاب والسنة .

المراجع الثانوية : هى العلوم الوضعية سواء أكانت آلة للعلوم الدينية ومنها التاريخ ، والسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين وغيرهـم من عظماء التابعين والأئمة المجتهدين نتعرف منها أعمالهم الجليلة وأخلاقهم الفاضلة التى كونت عظمتهم والتى هى سر نجاحهم . أم لا كالعلوم الدنيوية التى يتوقف على كثير منها نظام الحياة الاجتماعية من الرياضة والطبيعة بل الفنون والصنائع لقربها من فهم السامعين تفيد المرشد تشبيهات ومقابلات وأمثالها يستعين بها فى التعاليم الدينية ويتوصل بها إلى المغازى الأدبية . (١)

إذا كان الأطباء يقاومون الأمراض البدينة ويعالجونها بالعلم فالواعظ أيضاً لا يتمكن من مقاومة الأمراض الخلقية والنفسية إلا إذا تسلح بالعلم وضرب بسهم وافر فى مجالات العلوم . ونفذ إلى أغوارها حتى يصير كالغدير العذب يسقى كل طالب . ويروى كل ظامئ

(١) هداية المرشدين الشيخ على محفوظ ص ١٤١ - ١٤٢ .

غاية الوعظ :

إن صلاح الأمة وفسادها . وتقدمها وتأخرها . وتعاونها وتفرقها ... مرتبط بالنفس البشرية . فإذا صلحت صلحت الأمة . وإذا فسدت فسدت الأمة والمعنى الأخيرة هو المتحقق الآن . قال تعالى (**ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها**) (١)

ولن يصلح الله تعالى حال قوم حتى يصلحوا قلوبهم . ويغيروا ما بأنفسهم .

قال تعالى (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) (٢)

والوعظ هو السبيل الوحيد إلى النفس البشرية . وإصلاحها وتغيير ما بها .

قال الشيخ البهى الخولى (وأريد للداعية أن يعرف أن مهمته هى مهمة الأنبياء – عليهم السلام – هى تغيير ما بنفوس الناس حتى يغير الله ما بهم من فساد وكل وعظ لا يبلغ هذا الهدف أو لا يرمى إلى هذه الغاية فهو جهد ضائع . وعمل باطل) (٣)

وبالوعظ تصح النفوس . وتسلم القلوب . وتتنبه العقول من غفلتها وتستيقظ من رقدتها ، وتستنير البصائر بنور العبادة والطاعة .

---

(١) سورة الشمس من الاية ٧ : ١٠

(٢) سورة الرعد الآية : ١١

(٣) تذكرة الدعاة الشيخ البهى الخولى ص ٣٩ .

الفصل الثانى

الموعظة الحسنة من أساليب الدعوة

الموعظة الحسنة من أساليب الدعوة :

حدد الله تعالى الأساليب العامة للدعوة الإسلامية . قال تعالى (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) (١)

المفسرون وثلاثية الأساليب :

قال الطبرى (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ادع يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته إلى سبيل ربك يقول إلى شريعة ربك التى شرعها لخلقه وهو الإسلام بالحكمة يقول بوحى الله الذى يوحيه إليك . وكتابه الذى ينزله عليك . والموعظة الحسنة يقول وبالعبر الجميلة التى جعلها الله حجة عليهم فى كتابه وذكرهم بها فى تنزيله التى عدد عليهم فى هذه السورة من حججه . وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه . وجادلهم بالتى هى أحسن يقول خاصمهم بالخصومة التى هى أحسن من غيرها . أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ولا تعصه فى القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك) (٢)

وقال الزمخشرى (بالحكمة : بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة . والموعظة الحسنة وهى التى لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها . ويجوز أن يريد القرآن : أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتى هى أحسن بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف) (٣)

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن – الطبرى حـ ١٤ ص ١٣١

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل – الزمخشرى حـ ٢ ص ٤٣٥

وقد تمسك أكثر المفسرين (١) بضرورة أن تبقى أساليب الدعوة ثلاثة كما جاءت فى القرآن الكريم . والتزمها رسول الله ﷺ فى دعوته . والصحابة والتابعون رضى الله عنهم جميعاً .

الحكمة من تعدد أساليب الدعوة :

إن تعدد الأساليب الدعوية يؤكد تفاوت الناس فى الاستعداد والتفكير .

قال الإمام الغزالى :(اعلم أن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم وبالموعظة قوم وبالمجادلة قوم . فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير. وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضارع بلبن الآدمى ، وإن من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن الكريم كان كمن غذى البدوى بخبز البر . وهو لم يألف إلا التمر أو البلدى بالتمر وهو لم يألف إلا البر) (٢)

وقال الألوسى (وإنما تفاوتت طرق دعوته ﷺ لتفاوت مراتب الناس فى الفهم والاستعداد) (٣)

وتحديد الأسلوب المناسب للدعوة ليس أمراً هيناً .. ولذا ينبغى أن يتمتع الداعية بقوة ملاحظة ليقف على مالدى المدعوين . ويطلع على قدراتهم ويحدد أسلوب الدعوة المناسب . ويعطى كل طائفة حقها من الدعوة

المدعو بالموعظة الحسنة :

قال الإمام الرازى (هم الذين ما بلغوا فى الكمال إلى حد الحكماء المحققين وفى النقصان والرذالة إلى المشاغبين المخاصمين . بل هم أقوام

---

(١) التفسير الكبير الرازى حـ ٩ ص ٦٦٢ . والنسفى حـ ٢ ص ٣٠٥ . وابن كثير حـ ٢ ص ٥٩١ وابن القيم فى تفسيره ص ٣٤٤ .

(٢) القسطاس المستقيم . الغزالى ص ١٠ ، ١٢

(٣) روح المعانى . الألوسى حـ ١٤ ص ٢٥٤

بقوا على الفطرة الأصلية والسلامة الخلقية . وما بلغوا إلى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكمية والمكالمة مع هؤلاء لا يمكن إلا بالموعظة الحسنة) (١)

وقال ابن القيم (القابل الذى عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة) (٢)

وقال ابن تيمية (وهم قوم يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه . فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب فى الحق والترهيب من الباطل) (٣)

وقال صاحب تفسير الخازن (هم أصحاب الفطرة السليمة والخلقة الأصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا إلى حضيض النقصان فهم أوسط الأقسام) (٤)

وقال الألوسى (وهم عوام أصحاب نفوس كدرة ضعيفة الاستعداد . شديدة الإلف بالمحسوسات . قوية التعلق بالرسوم والعادات . قاصرة عن درجة البرهان لكن لاعناد عندهم وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة) (٥)

من خلال هذه الأقوال نجد أن المدعو بالموعظة الحسنة جماعة بين الكمال والنقصان . بين الحكماء المحققين والمشاغبين المخاصمين . فطرتهم سليمة . لا يعارضون الحق .. أصحاب هوى . وأهل غفلة .. غرتهم الدنيا .

وأغراهم حب المال . وأغواهم الشيطان . وهم جمهور الناس . يحتاجون إلى موعظة حسنة . وقول لين . لا إلى حكمة ولا جدل .

---

(١) التفسير الكبير . الرازى حـ ٩ ص ٦٦٤

(٢) التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤ . ومفتاح دار السعادة ص ١٦٧ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام . ابن تيمية حـ ١٩ ص ١٦٤ .

(٤) تفسير الخازن . البغدادى حـ ٤ ص ١٠٢

(٥) روح المعانى . حـ ١٤ ص ٢٥٤ .

مزايا الموعظة الحسنة :

من مزايا الموعظة الحسنة : أنها تمس القلب برفق . وتحببه فى الإقبال على الله عز وجل غافر الذنب وقابل التوب . وتشرح الصدر . وتفك الكرب . وتبعث الأمل فى النفس . ليتابع الإنسان الخطو . ويقبل على ربه من جديد . وبها يوقظ الواعظ النفس من سباتها . لما لها من الأسلوب المؤثر . والجو المشرق . والروح الصافية التى تكسب خشوعا وتقوى . ومراقبة لله فى كل الأمور .

قال الشيخ محمد عبده (وإذا كانت الحكمة تفيد أرباب النظر ، فإن الموعظة الحسنة تخاطب الوجدان . وتذكر بقدرة الله . وتأخذ بأزمة الهمم . وتنعش الروح) (١)

والموعظة الحسنة أيضاً وسيلة من سائل التربية والتهذيب .

قال صحاب كتاب " إعجاز القران "

(والموعظة الحسنة تنمى الخصائص البشرية التى من أهمها : الحكمة فى التفكير . والجمال فى الوجدان . والعزم فى الإدارة . وتصرف الإنسان عن الحمق والعوج . وتخلصه من أسر العادات والأوهام . حين ينظر إلى صنع الله عز وجل . ويرتفع عن ضعف الطباع الإنسانية التى لا تتفق مع الإيمان . ومن أجل ذلك لا غنى عنها لدعاة الحق فى كل زمان ومكان) (٢)

مقامات الموعظة الحسنة :

الموعظة الحسنة تغطى مساحة كبيرة فى الدعوة والتربية . وتنسجم مع كل مستوى . وتتمشى مع كل المراحل . وهى بهذا تتميز على الحكمة والجدل.

---

(١) رسالة التوحيد . للشيخ محمد عبده ص ١٦٩ بتصرف .

(٢) إعجاز القرآن . مصطفي صادق الرافعى ص ١٠٣ بتصرف .

ا - التربية بالموعظة :

إذا كان من واجب الآباء تربية الأبناء . فمن أهم وسائل التربية التربية بالموعظة الحسنة . وذلك بجوار القدوة الصالحة .

ومن صور التربية بالموعظة تربية لقمان عليه السلام لابنه .

قال تعالى (**وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**) (١)

ثم يواصل التربية قال تعالى حاكيا وعظه (**يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**) (٢)

إن موعظة لقمان لابنه موعظة شاملة شملت العقيدة . والشريعة . والأخلاق . موعظة تعليمية وتأديبية . أسلوبها يقطر عذوبة . ويفيض رقة ورحمة .

قال الاستاذ محمد قطب (فى النفس دوافع فطرية فى حاجة دائمة للتوجيه والتهذيب . ولابد فى هذا من الموعظة . فقد لا يلتقط الإنسان القدوة الصالحة . أو قد لا تكفيه بمفردها . والإنسان الكبير كالطفل الصغير فى حاجة دائمة إلى المواعظ . فقد لا يلتقط القدوة الصالحة . أو قد لا تكفى وحدها للتقويم) (٣)

---

(١) سورة لقمان الاية : ١٣

(٢) سورة لقمان الآيات : من ١٦ : ٢٠

(٣) التربية الاسلامية . محمد قطب ص ١٨٧ .

٢- تأديب الزوجة بالموعظة عند النشوز :

جاء فى المعاجم اللغوية : نشز الشئ نشزاً ونشوزاً : ارتفع . ونشزت المرأة استعصت على بعلها وأبغضته (١) .

وجاء فى فقه السنة : نشوز الزوجة : هو عصيان الزوج وعدم طاعته أو امتناعها عن فراشه . أو خروجها من بيته بغير إذنه . (٢)

لقد أمر الله تعالى الزوج أن يعظ زوجته الناشز . وأن يذكرها بالله تعالى ويحذرها من عقابه وانتقامه . قال تعالى **(والآتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا)** (٣)

ويذكرها بأحاديث النبى ﷺ . فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : اطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن العشير لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط . (٤)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشة فأبت أن تجئ . فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح " (٥)

وإذا كانت الموعظة من أساليب تأديب الزوجة الناشز . فعلى الزوج أن يلزم ذلك مع زوجته . وأن يعرف كيف وبما يعظها . وتؤثر فيها موعظته وتؤتى ثمارها .

---

(١) مختار الصحاح ص ٦٦٠ والمعجم الوجيز ص ٦١٧

(٢) فقه السنة . الشيخ السيد سابق جـ ٢ ص ١٩٥

(٣) سورة النساء الاية : ٣٤

(٤) صحيح البخارى مع الفتح جـ ١ ٨٣ ك الإيمان . باب كفران العشير .

(٥) صحيح البخارى مع الفتح جـ ٩ ص ٢٩٤ ك النكاح ، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها . صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٠ ص ٨ ك النكاح . باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها .

٣- موعظة الجار أو الاتعاظ منه :

لقد جعل الإسلام من حق الجار على جاره أن يعظه . وجعل من واجبات الجار أن يتعظ من جاره . ويقبل موعظته . ويفتح لها قلبه ووجدانه .

ولقد أنكر رسول الله ﷺ على أقوام لم يقوموا بموعظة جيرانهم . وأقوام لم يتعظوا من جيرانهم .

فعن علقمة بن سعيد بن عبد الرحمن بن ابزى عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال " ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم . ومابال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقون ولا يتعظون والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم . وليتعملن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة ثم نزل فقال قوم من ترونه عنى بهؤلاء . قال الأشعريين . هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب . فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا يا رسول الله ذكرت قوماً بخير وذكرتنا بشر . فما بالنا . فقال ليعلمن قوم جيرانهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون أو لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا . فقالوا يا رسول الله أنفطن غيرنا فأعاد قوله عليهم . فأعادوا قولهم : أنفطن غيرنا . فقال ذلك أيضاً . فقالوا أمهلنا سنة فأمهلهم سنة ليفقهونهم ويعلمونهم ويعظونهم ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) الاية . (١)

---

(١) الترغيب والترهيب . المنذرى حـ ١ ص ٧٤ كتاب العلم . باب ذم من كتم العلم والطبرانى فى الكبير .

٤- الاحتساب بالموعظة :

من أنظمة الإسلام الحسبة .

وقد عرفها العلماء بقولهم : هى الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهى عن المنكر إذا ظهر فعله . والإصلاح بين الناس . (١)

وللحسبة أركان أربعة هى : المحتسِب . والمحتسَب عليه . وموضوع الحسبة . والاحتساب .

والاحتساب له مراتب . إما باليد . وإما باللسان . وإما بالقلب .

والإحتساب باللسان درجات .

قال الإمام الغزالى (أولها التعرف ثم التعريف ثم النهى ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف) (٢) ثم التهديد والتخويف .

وعلى هذا فالوعظ والنصح من درجات الاحتساب باللسان . بأن يعظ المحتسِبُ المحتسَب عليه . وذلك بالترغيب فى فعل المعروف والترهيب من تركه . والترهيب من فعل المنكر والترغيب فى تركه .

٥ - الموعظة لأئمة المسلمين :

أمر الإسلام الدعاة بموعظة أئمة المسلمين .

فعن تميم الدارى أن النبى ﷺ قال : " الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " (٣)

قال النووى : معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم

---

(١) الأحكام السلطانية . الماوردى ص ٢٩٩ . والطرق الحكمية لابن القيم ص ٢٢٧ . ومقدمة ابن خلدون حـ ٢ ص ٦٣٦ . وإحياء علوم الدين الغزالى حـ ٢ ص ٣٠٨ . والحسبة فى الاسلام . لابن تيمية ص ١٨

(٢) إحياء علوم الدين . الإمام الغزالى حـ ٢ ص ٣٢٤ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى حـ ٢ ص ٣٦ " كتاب الإيمان " باب بيان أن الدين النصيحة

وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين . وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم (١) .

وموعظة الأئمة تحتاج إلى حرص وحذر . ودقة وروعة . ولين وملاطفة . جاء فى كتاب " نهاية الأرب فى فنون الأدب "

(وقالوا : ينبغى لمن صحب السلطان ألا يكتم عنه نصيحة وإن استقلها . وليكن كلامه له كلام رفق لاكلام خرق . حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك . ولكن يضرب له الأمثال . ويعرفه بعيب غيره . ليعرف به عيب نفسه .

وقالوا أيضاً : إذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان . وإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك . وارفق به رفقك بالصبى . وكلمه بما يشتهى) (٢)

وحسبنا أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام عندما أرسله إلى فرعون أن يتحلى باللطف واللين (**لعله يتذكر أو يخشى**) (٣)

وإذا كان من حق الأئمة أن يوعظوا وينصحوا . فإن من واجبهم أن يتعظوا ويستقيموا . فإنهم إن استقاموا استقام الناس . وإن انحرفوا انحرف الناس . ويعلموا أن الله تعالى سيسأل كل راع عما استرعاه . وأن الإمارة أمانة وستكون يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها .

٦- الموعظة لعامة المسلمين :

من حق عامة المسلمين على الداعية أن يعظهم ويذكرهم وينصحهم .

قال النووى (وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر . فإرشادهم لمصالحهم فى آخرتهم ودنياهم . وكف الأذي عنهم . فيعلمهم ما

---

(١) المرجع السابق حـ ٢ ص ٣٨ .

(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب . للنويرى حـ ٦ ص ١٠ - ١٥

(٣) سورة طه الاية : ٤٤

يجهلونه من دينهم . ويعينهم عليه بالقول والفعل . وستر عوراتهم . وسد خلاتهم . ودفع المضار عنهم . وجلب المنافع لهم . وأمرهم بالمعروف . ونهيهم عن المنكر . برفق وإخلاص . والشفقة عليهم . وتوقير كبيرهم . ورحمة صغيرهم . وتخولهم بالموعظة الحسنة . ترك غشهم وحسدهم . وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير . ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه . والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل) (١)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى حـ ٢ ص ٣٩

أساليب الموعظة :

إذا كانت الموعظة الحسنة نصيحة مضمونها ترغيب وترهيب فما الترغيب وأساليبه . وما الترهيب وأساليبه .

أولا: الترغيب .

تعريف الترغيب :

أولاً : لغة : يقال " رغب فلان : حرص على الشئ وطمع فيه . ورغبه فى الشئ : جعله يرغبه " (١)

ثانياً : اصطلاحاً : كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه (٢) .

أنواع الترغيب :

(أ) الترغيب فى جنس (٣) العبادة .

قال ابن تيمية : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة (٤)

والعبادة هى الغاية التى خلق الله تعالى الخلق لها .قال تعالى **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** (٥).وبها أرسل جميع المرسلين عليهم السلام .

والعبادة فى الإسلام متنوعة . منها ما هو بدنى كالصلاة . ومنها ما هو مالى كالزكاة . ومنها ما هو بدنى مالى كالحج والجهاد فى سبيل الله .

والعبادة بعضها يتمثل فى الفعل كالصلاة . وبعضها يتمثل فى الترك كالصيام .

---

(١) المعجم الوجيز ص ٢٦٩ .

(٢) أصول الدعوة . عبد الكريم زيدان ص ٤٢١

(٣) الجنس : الأصل . وهو كلى مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة فى جواب ما هو من حيث هو كذلك . التعريفات . الجرجانى ص ٧٨

(٤) مفهوم العبودية فى الإسلام . ابن تيمية . ص ١

(٥) سورة الذاريات الآية : ٥٦

ولها مستويان . مستوى الفرائض . ومستوى التطوع والنوافل . وكل مستوى له ثمرات وفوائد .

وكل ما دعا إليه الإسلام عبادة . كالتحلى بالأخلاق الحسنة . وصلة الرحم . والصلح بين الناس . وزيارة المريض . ونصر المظلوم . وإماطة الأذى عن الطريق ... إلخ .

ولذلك يقول ابن تيمية (فالدين كله داخل فى العبادة) (١)

وواجب الواعظ أن يرغب الموعوظ فى جنس العبادة . وأن يشوقه إليها . ويدفعه إلى الإتيان بها . وحبها . والثبات عليها . وذلك ببيان جزاءها وفوائدها .

وعلى الواعظ فى هذا الشأن أن يرجع إلى القرآن الكريم – وكذلك السنة – ويأتى بالآيات التى رغبت فى جنس العبادة . كقول الله تعالى **(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (٢)**

وإذا اتجه الوعاظ إلى القرآن الكريم والسنة النبوية . واستخدموا من نورهما المبين . كانوا فى وعظهم راشدين .

٢- الترغيب فى أنواع (٣) العبادات .

لا يقتصر الواعظ على الترغيب فى جنس العبادة ، ولكن عليه أن يرغب الموعوظ فى أنواع العبادات كالصلاة والزكاة ... ومستوياتها كالفرائض والنوافل وأن يرغب فى أنواع الأخلاق الحسنة ومراتبها كالصدق والصبر

---

(١) مفهوم العبودية فى الإسلام . لابن تيمية ص ٤

(٢) سورة النحل الآية : ٩٧

(٣) النوع : الصنف من كل شئ . وهو أخص من الجنس . وهو كلى مقول على واحد أو على كثيرين متفقين بالحقائق فى جواب ما هو . التعريفات للجرجانى ص ٣٤٦

والأمانة .. وأن يرغب فى أنواع الحقوق كحقوق الإنسان .. حقوق الآباء .. حقوق الأبناء .. حقوق الزوجين .. حقوق الجار .. حقوق المسلم .. حقوق غير المسلم . وكذلك يرغب فى أنواع الواجبات .

وعلى الداعية الواعظ فى هذا الشأن أن يرجع إلى بعض الكتب التى تحدثت عن الترغيب فى أنواع العبادات واهتمت بذكر مراتبها ودرجاتها مثل كتاب مدارج السالكين لابن القيم وإحياء علوم الدين للإمام الغزالى . والترغيب والترهيب للإمام المنذرى .

ثانيا: الترهيب:

تعريف الترهيب :

أولاً : لغة :"رهبه رهباً ، ورهبة .ورهباً: خافه وأرهب فلاناً خوفه وفزعه"(١)

ثانياً : اصطلاحاً : كل ما يخيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله . (٢)

أنواع الترهيب :

١- الترهيب من جنس المعاصى :

إذا كانت عبادة الله تعالي هى طاعة أوامره . فمخالفة أوامره هى المعصية . والعصيان هو الخروج عن الطاعة . والامتناع عن الانقياد .

والمعاصى نوعان كبائر وصغائر . وكلها محرمة ومنهى عنها .

وواجب الداعية الواعظ أن يرهب من جنس المعاصى . ويحذر منها ومن الاقتراب منها . وذلك ببيان ما يترتب عليها من أضرار وعقاب فى الدنيا والآخرة .

---

(١) المعجم الوجيز ص ٢٧٩

(٢) أصول الدعوة .د/ عبد الكريم زيدان ص ٤٢١

وعلى الواعظ فى هذا المقام أن يأتى بالآيات - والأحاديث - التى تحذر من جنس المعاصى . وذكرت انتقام الله لأهل المعاصى .

قال تعالى (**ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين**) (١)

وقال تعالى (**ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا**) (٢)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : أتدرون ما المفلس . قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع . فقال إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار (٣) .

وعلى الواعظ أن يذكر ما حل بالقرى من الأخذ بالدمار أو الحرمان من الخيرات بسبب ظلمهم واستكبارهم .. وما وقع لجماعات أو أفراد من الأخذ العاجل مثل قوم سبأ . وهارون . وأصحاب الجنة .. وأن يرهب بذكر مصير الأمم التى كذبت رسلها . والترهيب بالعذاب الآجل فى الآخرة .

٢- الترهيب من أنواع المعاصى :

لا يقتصر الواعظ على الترهيب من جنس المعاصى . ولكن عليه أن يرهب من أنواع المعاصى كترك الصلاة . ومنع الزكاة ... ومن أنواع الأخلاق السيئة كالخيانة والكذب والغدر . والخصومة .

وهناك كتب كثيرة تحدثت عن الترهيب من أنواع المعاصى ككتاب الترغيب والترهيب . للمنذرى . وكتاب الكبائر . للإمام الذهبى . والجواب الكافى . لابن القيم

---

(١) سورة النساء الآية ١٤

(٢) سورة الأحزاب الاية : ٣٦ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى حـ ١٦ ص ١٣٧ " كتاب البر والصلة " باب تحريم الظلم .

الفصل الثالث

مواعظ النبى ﷺ و آدابه

المبحث الأول

مواعظ النبى ﷺ

لقد دعا النبى ﷺ إلى الإسلام الحنيف بالموعظة الحسنة .

فقد رغب الناس فى الإيمان بالله سبحانه والإقرار بوحدانيته وربوبيته ، والعمل بشريعته . وحذرهم من الكفر والعصيان . والجحود والإلحاد .

ورغب المسلمين فى العمل الصالح والتمسك بالإسلام وأحكامه وحذرهم من العمل السئ وعاقبته .. وبشرهم بالثواب ، وأنذرهم بالعقاب .. الخ .

ومواعظ النبى ﷺ لم تترك خيراً إلا رغبت فيه ودعت إليه ، ولم تترك شراً إلا حذرت منه ورهبت من عاقبته .

وقد شمل النبى ﷺ الجميع بمواعظه . الكبير والصغير والرجال والنساء. والأغنياء والفقراء والأصحاء والمرضى ، والمقيمين والمسافرين .. إلخ .

كذلك شمل الإسلامَ كله بالموعظة عقيدة وشريعة وأخلاقاً .

وفى هذا المبحث لم أذكر كل مواعظ النبى ﷺ ، ولكن أذكر بعضها وجانباً منها ، داعياً المولى سبحانه أن ينفعنا بها ، وأن يجزى رسولنا ﷺ خير ما جزى نبياً عن أمته .

(أ) موعظة الإمام للخصوم :

عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : إنما أنا بشر . وإنكم تختصمون إلىّ . ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى على نحو ما أسمع . فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع قطعة من النار . (١)

شرح الموعظة

فى هذه الموعظة يبين ﷺ أنه بشر يتأثر بما يرى . ويحكم بما يسمع . ولا يعلم الغيب . وأن بعض الناس يتمتع بمهارة فى الحوار . وقوة فى الاستدلال . وبراعة فى المنع والنقض والمعارضة . فمن استخدم هذه الموهبة فى قلب الحقائق . وإحقاق الباطل . وأخذ حق غيره فقد أخذ قطعة من النار .

وهذه الموعظة تحفظ الحقوق . وتحمى الإنسان . وتحذر من الظلم والجدل بالباطل . وتدعو إلى العدل . واتباع الحق . مع المسلمين وغيرهم .

الصور البلاغية فى الموعظة :

تشبيه في قوله ﷺ " فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار "

المشبه : قضيت له بحق أخيه شيئاً

المشبه به : فإنما أقطع له قطعة من النار .

وفى هذا التشبيه صرف للذى قضى له بحق أخيه عن أخذ هذا الحق لكونه قطعة من النار .

وإذا كان الحكم قد اعتمد على ظاهر الحال .. فواجب المحكوم له . وهو

(١) صحيح البخارى مع الفتح جـ ١٣ ص ١٥٧ ك الأحكام . باب موعظة الإمام للخصوم .

أعلم ببواطن الأمور . أن يتقى ما ينتظره من عذاب إذا أخذ ما قضى له به وهو من حق أخيه .

ومما يقوى دواعى صرف المحكوم له عن أخذ ما قضى له به . مع علمه أنه ليس حقه .. أن المشبه به صيغ فى أسلوب من أساليب القصر طريقه " إنما " الأمر الذى يؤكد معنى " النارية " فى المحكوم به .

(٢) موعظة عند القبر :

عن علىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : " كنا فى جنازة فى بقيع الغَرْقد (١) . فأتانا النبى ﷺ فقعد . وقعدنا حوله . ومعه مخْصَرةٌ (٢) فَنَكَّسَ (٣) فجعل ينكُتُ بمِخْصَرتِه . ثم قال : ما منكم من أحد ما من نَفْس مَنْقوسةٍ (٤) إلا كتب مكانُها من الجنة والنار . وإلا قد كُتبتْ شقية أو سعيدة . فقال رجل (٥) يا رسول الله . أفلا نتكل (٦) على كتابنا وندع العمل . فمن كان منا من أهل السعادة فسيصيرُ إلي عمل أهل السعادة . وأمَّا من كان منًّا من أهل الشقاوة فسيصيرُ إلى عمل أهل الشقاوة . قال : أمَّا أهلُ السعادةِ فيُيَسَّرون لِعَملِ أهل السعادة . وأمَّا أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة . ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى) الآية (٧)

شرح الموعظة :

فى هذه الموعظة المباركة يبين رسول الله ﷺ أن كل إنسان له مقعد من

---

(١) الغرقد : موضع بظاهر المدينة فيه قبور أهلها كان به شجر الغرقد فذهب وبقي اسمه .

(٢) المخصرة : هى العصا أو القضيت . وسميت بذلك لأنها تحمل تحت الخصر غالبا للإتكاء عليها .

(٣) نكس : أطرق .

(٤) منقوصة : مصنوعة مخلوقة .

(٥) الرجل : قيل عمر بن الخطاب . وقيل سراقة بن مالك بن جعشم . انظر فتح البارى ١١ / ٤٩٧

(٦) نتكل : نعتمد على ما قدر علينا .

(٧) صحيح البخارى مع الفتح حـ ٣ ص ٢٢٥ ك . باب موعظة المحدث عند القبر . حـ٨ ص ٧٠٨ ك التفسير حـ١١ ص ٤٩٧ ك القدر

الجنة والنار . وكتب شقى أو سعيد . فقال رجل يارسول الله : أفلا نعتمد على ما كتب وندع ونترك مشقة العمل فإنا سنصير إلى ما قدر علينا . فبين ﷺ أنه لا مشقة لأن كل أحد ميسر لما خلق له . وهو يسير على من يسره الله . وأن أهل السعادة ييسرون لعمل أهل السعادة . وأهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ قوله تعالى " فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى "

قال الطيبى : الجواب من الأسلوب الحكيم . منعهم من ترك العمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية . وزجرهم عن التصرف فى الأمور المغيبة فلا يجعلوا العبادة وتركها سبباً مستقلا لدخول الجنة والنار . بل هى علامات فقط (١)

الصور البيانية الموعظة النبوية :

فى قوله ﷺ " إلا كتب مكانها " استعارة تصريحية أصلية حيث استعير المكان للمنزلة . وفى تلك الاستعارة دلالة على قوة العلاقة بين النفس ومنزلها المعبر عنها بالمكان .

كما أن فى قوله ﷺ " أفلا نتكل على كتابنا " استعارة مكنية .

حيث شبهت الكتابة التى سبقت فى علم الله بالشئ القوى الذى يتخذ عماداً يعتمد عليه . ثم حذف المشبه به . ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الاتكال والاعتماد .

وفى قول الرجل " فمن كان منا من أهل السعادة " مجاز مرسل فى " أهل السعادة " حيث عبر بالسعادة عن الجزاء الحسن الذى يسعد . وأصل

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى حـ ١١ ص ٤٩٧ .

التعبير " فمن كان منا من أهل العمل الصالح الموصل إلى الجزاء الحسن " فعبر بالسعادة عن هذا كله .. على طريق المجاز المرسل . والعلاقة هنا " المسببية " إذ السعادة مسببة عن كل ما أدى إليها من أسباب سبقتها. والموعظة النبوية حافلة بالطباق والمقابلة .

(٣) موعظة فى الصلاة :

عن أبى مسعود الأنصارى قال : قال رجل (١) يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان (٢) . فما رأيت النبى ﷺ فى موعظة أشد غضباً من يومئذ . فقال : أيها الناس إنكم منفرون (٣) . فمن صلى بالناس فليخفف . فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة (٤)

شرح الموعظة :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وشكا إمامه الذى يطول فى الصلاة فغضب (٥) رسول الله ﷺ لأنه سبق أن نهاهم عن ذلك (٦)

ووعظهم قائلا : " إن منكم منضرين " يفزعون الناس بالتطويل . ويدفعونهم عن الصلاة . ثم أمرهم بالتخفيف رحمة بالمريض والضعيف . وتيسيرا لصاحب الحاجة وتحبيباً للكل فى الطاعة والعبادة . وحفظاً للجماعة من التفرق .

وقول الرجل : " لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان "

---

(١) الرجل : قيل هو حزم بن أبى كعب . فتح البارى حـ١ ص ١٨٦ .

(٢) فلان : المراد به أبى بن كعب كما أخرجه أبو يعلى باسناد حسن . فتح البارى حـ ٢ ١٩٨

(٣) نفر فلانا عن الشئ : أفزعه ودفعه عنه . المعجم الوجيز ص ٦٢٧

(٤) صحيح البخارى مع الفتح حـ١ ص ١٨٦ ك العلم . باب . الغضب فى الموعظة والتعليم الحديث ٩٠ - أطرافه فى ٧٠٢ - ٧٠٤ - ٦١١٠ - ٧١٥٩ .

(٥) الغضب : سببه إما لمخالفة الموعظة أو للتقصير فى تعلم ما ينبغى تعلمه ... ويحتمل أن يكون ماظهر من الغضب لإرادة الاهتمام بما يلقيه لأصحابه ليكونوا من سماعه على بال لئلا يعود من فعل ذلك إلى مثله . انظر فتح البارى حـ٢ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٦) انظر صحيح البخارى مع الفتح حـ٢ ص ١٩٩ ك الأذان . باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء

قال القاضى عياض : ظاهره مشكل . لأن التطويل يقتضى الإدراك لا عدمه . قال فكأن الألف زيدت بعد لا وكأن أدرك كانت أترك . قلت : هو توجيه حسن لو ساعدته الرواية .

وقال أبو الزناد بن سراج : معناه أنه كان به ضعف . فكان إذا طول به الإمام فى القيام لا يبلغ الركوع إلا وقد ازداد ضعفه فلا يكاد يتم معه الصلاة . قلت : وهو معنى حسن .

أو المراد لا أقرب من الصلاة فى الجماعة بل أتأخر عنها أحياناً من أجل التطويل (١)

الصور البيانية فى الموعظة النبوية :

فى قول الرجل " لا أكاد أدرك الصلاة " كناية عن العجز عن أدائها مع ذلك الإمام الذى يطول بهم . وقد جاءت هذه الكناية دليلاً قوياً على مبلغ الطول المعجز للمأمومين . ذلك أن المأموم عبر عن غاية عجزه بكونه لا يقارب إدراك الصلاة . فضلاً عن إدراكها . ذلك أن نفى مقاربة الفعل أبلغ من نفى الفعل نفسه . كقوله تعالى (**إذا أخرج يده لم يكد يراها**) (٢) مبالغة فى لم يرها أى لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها .

(٤) عظة الإمام النساء وتعليمهن :

عن ابن عباس قال : أشهد على النبى ﷺ أو قال عطاء أشهد على ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال فظن أنه لم يُسْمِعْ فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقى القرط (٣) والخاتم . وبلال يأخذ فى

---

(١) فتح البارى بصحيح البخارى حـ ١ ص ١٨٦

(٢) سورة النور الآية : ٤٠ .

(٣) القرط : أى الحلقة التى تكون فى شحمة الأذن .

طرف ثوبه . (١)

شرح الموعظة :

كـان ﷺ يعظ النساء ويعلمهن كما يعظ الرجال ويعلمهم . فمن ذلك أنـه ﷺ خرج ومعه بلال رضى الله تعالى عنه . ووعظ النساء . وكانت موعظته : إنى رأيتكن أكثر أهل النار . لأنكن تكثرن اللعن . وتكفرن العشير (٢) .

فلما اتعظن وتأثرن . أمرهن ﷺ بالصدقة لتكفير الخطايا ومحو الذنوب . فاستجبن وتصدقن بأحب ما يملكن . وبلال رضي الله عنه يجمع الذهب فى ثوبه .

الصور البيانية فى الموعظة النبوية :

فى قوله " فجعلت المرأة تلقى القرط والخاتم " كناية عن بلوغ موعظته ﷺ إلى نفوسهن . وسرعة استجابتهن لأمره . والكناية كدعوى الشئ بالبينة .

فكأن راوى الحديث يقول : إنهن تلقين الموعظة بالقبول والاستجابة وامتثلن لأمر النبى ﷺ . والدليل على ذلك " فجعلت المرأة تلقى القرط والخاتم "

(٥) موعظة فى الدنيا :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى (٣) فقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو (٤) عابر سبيل . وإذا

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح حـ ١ص ١٩٢ ك العلم . باب موعظة الإمام النساء وتعليمهن . الحديث ٩٨ - أطرافه فى : ٨٦٣ - ٩٦٢ - ٩٦٤ - ٩٧٥ - ٩٧٧ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى حـ١ ص ١٩٣

(٣) المنكب : مجمع العضد والكتف .

(٤) أو : قال الطيبى : ليست " أو " للشك بل للتخيير والإباحة . والأحسن أن تكون بمعنى " بل " انظر الفتح لابن حجر حـ١١ ص ٢٣٤ .

أصبحت فلا تنتظر المساء . وخذ من صحتك لمرضك . ومن حياتك لموتك (١) .

شرح الموعظة :

يحذر النبى ﷺ بن عمر رضي الله عنهما من الدنيا وحبها وطول الأمل . ومعنى الموعظة : لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً . ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها . ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه . أو عابر السبيل الذى يمر على الطريق طالباً وطنه .. وانتظر الموت الذى يأتى بغتة ويدرك صاحبه ولو فى برج مشيد .ثم أمر النبى ﷺ بن عمر رضى الله عنهما أن يشتغل فى الصحة بالطاعة قبل المرض الذى يمنع من العمل . وأن يتزود بالتقوى فى حياته وكل ما يلقى نفعه بعد الموت .

قال صاحب الفتح : وفى ذلك إشارة إلى إيثار الزهد فى الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف . فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن فى الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل (٢) .

الصور البيانية فى الموعظة :

فى قوله ﷺ " كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " تشبيه طرفاه هما :

المشبه : المخاطب وينسحب منه إلى كل من أفراد الأمة .

المشبه به : غريب أو عابر سبيل .. وقد ترقى وأضرب عن الغريب " إلى عابر السبيل " لأن الغريب قد يسكن فى بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية . ومفاوز مهلكة . وقطاع طريق . فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة .

---

(٥) صحيح البخارى مع الفتح حـ ١١ ص ٢٣٣ ك الرقاق . باب قول النبى ﷺ : كن فى الدنيا كأنك غريب .

(٢) فتح البارى حـ١١ ص ٢٣٤

وهذا التشبيه يحمل معنى عدم الركون إلى الدنيا . وأن تكون علاقة المسلم بها أرق وأخف ما تكون .. شأن الغريب .. أو شأن عابر السبيل ...

كما أن فى قوله ﷺ " وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء " كناية عن الاستعداد الدائم للرحيل عن الدنيا .

وفى قوله ﷺ " وخذ من صحتك لمرضك ... " كناية عن المسارعة إلى اغتنام أوقات السلامة ..

(٦) موعظة فى الإنسان بين الأمل والأجل :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : خط النبى ﷺ خطاً مربعاً . وخط خطاً فى الوسط خارجاً منه . وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط . فقال هذا الإنسان . وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله . وهذه الخطط الصغار الأعراض (١) . فإن أخطأه هذا نهشه هذا . وإن أخطأه هذا نهشه هذا (٢) .

شرح الموعظة :

فى هذه الموعظة يبين ﷺ أن الأجل محيط بالإنسان . قريب منه . وأن الإنسان لو سلم من كل شئ لا يسلم من أجله .. وعلى هذا ينبغى أن يستعد الإنسان بالعمل . وأن ينتظر الأجل . ولا يشتغل بطول الأمل .

الصور البيانية فى الموعظة :

الحديث كله صورة نوعها تشبيه مركب .

المشبه : هو موقف الإنسان أمام أجله وأمله وما يتنازعه من أعراض .

والمشبه به :شئ واقع داخل مربع يحيط به . وقد امتد من هذا المربع خط فى اتجاه الأمام تحيط به خطوط أخرى تتنازع ذلك الشئ الذى بداخل المربع .

ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من شئ تتنازعه أشياء .. يحيط به مالا يمكن الإفلات منه .

(٧)موعظة فى اغتنام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه : اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك . وصحتك قبل سقمك .

---

(١) الأعراض : ما ينتفع به فى الدنيا فى الخير وفى الشر . أو الافات العارضة .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح جـ ١١ ص ٢٣٥ ك الرقاق . باب فى الأمل وطوله .

وغناك قبل فقرك . وفراغك قبل شغلك . وحياتك قبل موتك .

شرح الموعظة :

كل إنسان يملك نعماً ومواهب تعينه على الطاعة والجهاد فى سبيل الله . من ذلك نعمة الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة .. ودوام الحال من المحال .فالشباب يعقبه هرم . والصحة بعدها سقم . والغنى يعقبه فقر . والفراغ يعقبه شغل . والحياة نهايتها موت .

ولذا وعظ رسول الله ﷺ الرجل وأمره أن يغتنم الشباب والصحة والغنى ... فى العبادة والعمل الصالح . وذلك قبل تغير الحال .

الصور البيانية فى الموعظة :

فى الفعل " اغتنم خمساً " استعارة تبعية لكونها في الفعل . حيث شبهت المسارعة إلى الانتفاع بالشئ .. باغتنامه بجامع الحرص على تحقيق الفائدة فى كل . ثم استعير الاغتنام للمسارعة إلى الانتفاع ثم اشتق منه " اغتنم " بمعنى سارع إلى الانتفاع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . وهذه الاستعارة توحى بعظم الفائدة المتعلقة بالأشياء التى تعلق بها الاغتنام وهى : الشباب . والصحة . والغنى والفراغ . والحياة .

(٨) موعظة فى التقوى والسمع والطاعة والتمسك بالسنة :

عن العرباض بن سارية قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة . وجهلت منها القلوب . وذرفت منها العيون . فقيل يا رسول الله : وعظتنا موعظة مودع . فاعهد إلينا بعهد . فقال " عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة . وإن عبداً حبشياً . وسترون من بعدى اختلافاً شديداً . فعلكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . عضوا عليها بالنواجذ .

وإياكم ومحدثات الأمور . فإن كل محدثة بدعة . وكل بدعة ضلالة (١) .

شرح الموعظة :

كان من سنة النبى ﷺ إذا ما صلى بالناس صلاة جماعة استدار إليهم .. وواجههم ليعظهم ويذكرهم .. وقد وصف العرباض بن سارية موعظة النبى ﷺ بقوله " فوعظنا موعظة بليغة . وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون " أى فزعت ووجلت منها القلوب . وسالت من تأثيرها الدموع .. والظاهر أن هذه الموعظة كانت فى أخريات حياة النبى ﷺ .. فقال رجل : يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع . فاعهد إلينا بعهد فأمرهم ﷺ بتقوى الله الشاملة لكل هدى وحق وخير ثم وصاهم بالسمع والطاعة للخليفة والأمير وإن كان عبداً حبشيا . وذلك لأن النبى ﷺ يعلم أنه سيكون هناك خلاف على الإمارة . ووصاهم أيضا بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين .

ثم حذرهم من الوقوع فى البدع المضلة والمحدثات .

الصور البيانية فى الموعظة :

فى الموعظة عدة كنايات :

وصف الموعظة بكونها وجلت منها منها القلوب . وذرفت منها العيون كنايتان عن قوة الموعظة ووصولها إلى غايتها .

كما أن فى " عضوا عليها بالنواجذ " كناية عن شدة الحرص عليها والتمسك بها . لأن العض بالنواجذ يلزم منه العض بجميع الأسنان . أو

---

(١) سنن أبى داود جـ٤ ص ٢٠٠ ك السنة . باب لزوم السنة . حديث ٤٦٠٧
وسنن الترمذى جـ ٥ ص ٤٤ ك العلم . باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع .
وسنن ابن ماجة جـ ١ ص ١٥ المقدمة . باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين والمسند للإمام أحمد جـ ٤ ص ١٣٠ - ١٣١ . والترغيب والترهيب جـ ١ ص ٤٠

بمعظمها على الأقل .

وفى قـوله ﷺ " إن كل بدعة ضـلالة " تشـبيـه . شـبـهت فـيـه البدعـة بالضـلالة . ووجـه الشـبـه عـدم الوصـول إلى الغـاية فى كل من البـدعـة والضلالة .

كما أن فى قول القائل " وعظتنا موعظة مودع " تشبيهاً أيضاً . حيث شبهت موعظة الرسول ﷺ لهم بموعظة المودع لما فيها من إحاطة وقوة أثر .

(٩) موعظة فى المفلس يوم القيامة :

عن أبى هريرة رضى الله أن رسـول الله ﷺ قـال : أتدرون مـا المفلس . قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . فقال إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة . ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار (١) .

شرح الموعظة :

فى هذه الموعظة يبين النبى ﷺ حـقـيـقـة المفلس ، وهو من يأتى يوم القيامة بعبادات ، وعليه حقوق للعباد . حقوق مادية كالمال .. ومعنوية كالغيبة . وأنه ستؤخذ حسناته لغرمائه ، فإذا فرغت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فوضعت عليه .

ثم يبين النبى ﷺ مـصـيـر المفلس ونهـاية الظالم بقـوله : «ثم طرح فى

---

(١) صـحـيح مـسلم بشـرح النووى جـ ١٦ ص ٣٥ـ ك البـر والصلة . باب تحـريم الظلم التـرغيب والترهيب جـ ٢ ص ١٤٥ ك القضاء وغيره . باب الترهيب من الظلم ودعاء المظلوم .

النار» . فلم تنفعه حسناته ، ولم تغن عنه أمواله وأعماله .

الصور البيانية فى الموعظة :

فى قوله ﷺ « أكل مال هذا » استعارة تصريحية تبعية فى الفعل «أكل» لأن أصل الأكل إدخال الطعام إلى المعدة من الفم ، فاستعير لأخذ المال بقصد الإنتفاع دون إرجاعه ، ثم اشتق منه أكل بهذا المعنى ، وهى استعارة توحى بالتنفير من هذا العمل الذى هو أخذ المال دون إرجاعه .

وفى قوله ﷺ : « سفك دم هذا » كناية عن القتل ، لأن أصل السفك معناه الصب ، وصب الدم من الجسم يستلزم إنهاء الحياة ، وهى كناية تشعر بشناعة جريمة القتل .

كما أن فى قوله ﷺ : « فإن فنيت حسناته » استعارة تصريحية تبعية أيضاً ، حيث إن المعنى الأصلى هنا المراد التعبير عنه هو نفاد الحسنات وإنتهاؤها ، فشبه نفاد الحسنات بالفناء ، ثم استعير الفناء للنفاد ، ثم اشتق منه « فنيت » بمعنى « نفدت » وهذه الإستعارة تصور المدى الذى آل إليه أمر حسنات المفلس من انقطاع الأمل فيها وفى النفع بها ، كما أن فيها تناسقاً معنى « المفلس » الذى ذكر فى الحديث الشريف .

(١٠) موعظة فى الترهيب من الزنا :

عن إبى أمامة رضي الله عنه أن فتى شاباً أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لى بالزنا ، فاقبل القوم عليه فزجروه (١) . وقالوا مه (٢) . فقال إدنه فدنا منه قريباً ، قال : فجلس .

قال أتحبه لأمك . قال : لا . والله جعلنى فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم .

---

(١) زجروه : انتهروه .

(٢) مه : اكفف .

قال : أفتحبه لابنتك . قال : لا . والله جعلنى فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم .

قال : أفتحبه لأختك . قال : لا . والله جعلنى فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

قال أفتحبه لعمتك . قال : لا . والله جعلنى فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم .

قال أفتحبه لخالتك . قال : لا . والله جعلنى فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم .

فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلي شيء (١)

شرح الموعظة :

لما طلب الشاب من رسول الله ﷺ أن يبيح له الزنا . انتهره الصحابة رضى الله عنهم . وطلبوا منه أن يكفف عن قوله وطلبه .. وهنا أمره النبى ﷺ أن يقترب منه .. ثم وعظه موعظة بليغة .. وحاوره بهدوء ، وخاطبه بلطف ، وسأله واستمع له .. وذكَّره بمن لا يحب لهن فاحشة الزنا . ويخاف عليهن منه .. ولما رأى النبى ﷺ أن الشاب اتعظ وتأثر ، وضع يده عليه ودعا الله تعالى له . فلم يكن بعد ذلك الشاب يلتفت إلى شيء .

الصور البيانية فى الموعظة :

فى قوله ﷺ « أتحبه لأمك ؟ قال لا والله جعلنى الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » .

فى كل من هذه الأسئلة ثم إجابة الفتى الشاب وتعقيب النبى ﷺ على

---

(١) المسند جـ ٥ ص ٢٥٦ .

إجابته نوع من التشبيه يسمى « التشبيه الضمنى » وهو الذى يفهم من الكلام لأنه ليس مذكوراً على طريقة التشبيه الإصطلاحى وبيان ذلك أن رسول الله ﷺ جعل تحريم الزنا ناشئاً عن عدم حب الناس له ، وقاس أمر الناس على أمر الشاب نفسه من حيث إنه أقر بعدم حبه له ، فيكون المشبه عدم حب الناس الزنا لأمهاتهم وبناتهم .. الخ ، والمشبه به : عدم حب المخاطب « الفتى الشاب » الزنا لأمه وابنته ...، ووجه الشبه : الإجتماع على رفض الزنا وكراهية الزنا ، وكأن أصل التعبير : إن الناس لايحبون الزنا لأمهاتهم وبناتهم كما أنك أيها المخاطب لاتحبه لأمك وابنتك ... الخ .

ومن بلاغة النبوة وأدبها الرفيع .. أن جعل هذه القضية في هذا الحوار الجميل الذى انتهى بالراغب فى الزنا إلى الإقرار بحرمته وكراهيته .

(١١) موعظة فى الأمانة والعهد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه . إلا إن الله قد فرض فرائض وسن سنناً . وحد حدوداً . وأحل حلالاً ، وحرم حراماً . وشرع الدين فجعله سهلاً سمحاً واسعاً . ولم يجعله ضيقاً . ألا إنه لا إيمان لمن لا أمانة له . ولا دين لمن لاعهد له . ومن نكث ذمة الله طلبه . ومن نكث ذمتى خاصمته . ومن خاصمته فلجت عليه* ومن نكث ذمتى لم ينل شفاعتى ولم يرد على حوضى (١)

شرح الموعظة :

إن هذه الموعظة من أشمل مواعظه ﷺ ... فقد اشتملت على أصول

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٤٢ المقدمة . فضل الترغيب فى إتباع الكتاب والسنة وقال المنذرى : الحديث رواه الطبرانى فى الكبير .

* فلجت عليه : أى ظهرت عليه بالحجة والبرهان وظفرت به .

الدين .. والفرائض والسنن .. والحلال والحرام .. والحدود .. ثم ذكر ﷺ بعض خصائص الإسلام . وهى أن الله تعالى جعل الدين يسراً وسمحاً واسعاً .. ولم يجعله شاقاً صعباً .. ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه .. ثم يواصل النبى ﷺ مبيناً ارتباط الإيمان بالأخلاق وأنه لا إيمان لمن لا أمانة له . ولا دين لمن لاعهد له ٠ وأن نقض عهد الله تعالى – أى أوامره ونواهيه – طلبه . ولذا يقول الله تعالى (إن العهد كان مسئولاً) (١) ٠

ومن نقض عهدى – وصاياه ﷺ – جادلته . ومن جادلته أفحمته وظهرت عليه بالحجة والبرهان .. ثم ختم ﷺ موعظته بأن من نقض عهده ﷺ لم يحصل على شفاعته . ولم يرد حوضه . والموعظة تدعو إلى الوفاء بالعهد . وأداء الأمانة . وتحذر من الغدر والخيانة ٠

الصور البيانية فى الموعظة :

فى قوله ﷺ « ومن نكث ذمة الله طلبه » استعارة تصريحية تبعية فى « نكث » حيث شبه عدم الوفاء لذمة الله بمعنى عهده بالنكث الذى هو نقض الحبل ثم استعير النكث لعدم الوفاء ثم اشتق منه « نكث » بمعنى . لم يوف .. على سبيل الإستعارة التصريحية التبعية لكونها فى الفعل . وهذه الإستعارة توحى بقبح هذا العمل لما فيه من اجتراء على ذمة الله . وماقيل فيها يقال فى « ومن نكث ذمتى » ٠

وفى قوله ﷺ « لم ينل شفاعتى » استعارة بالكناية حيث شبهت الشفاعة بشىء محسوس عظيم تتطلع إليه النفس ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو عدم النوال ، وهذه الإستعارة توحى بعظم الشفاعة ،

---

(١) سورة الاسراء الآية : ٣٤
والمعنى كان مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه . أو أن صاحب العهد كان مسئولاً .

وبالتالى عظم خسارة من حرمها - والعياذ بالله تعالى .

(١٢) موعظة فى الترهيب من المراء والجدال :

عن أبى الدرداء وأبى أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك رضى الله عنهم قالوا : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن فتمارى فى شئ من أمر الدين ، فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ، ثم انتهرنا فقال : مهلاً يا أمة محمد إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ذروا المرآء لقلة خيره . ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ، ذروا المراء فإن الممارى قد تمت خسارته . ذروا المراء فكفى إثماً أن لا تزال ممارياً ، ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة فى رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق . ذروا المراء فإن أول ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان المراء . (١)

شرح الموعظة :

المراء من آفات اللسان ، ومن صفات أهل الباطل ، ولا يأتى إلا بشر .

وقد نهى الإسلام عنه ، ورغب فى تركه والبعد عنه ، وذلك لأنه لا يأتى بخير .

ولذا لما خرج رسول الله ﷺعلى أصحابه رضى الله عنهم وهم واقعون فيه غضب غضباً شديداً لما يغضب مثله وانتهرهم .. مبيناً لهم أن المراء هلك من كان قبلهم ، ثم وعظهم وأمرهم أن يتركوا المراء لقلة خيره ، وأن المراء ليس من صفات المؤمنين ، وأن أهل المراء تمت خسارتهم ولا يشفع لهم يوم القيامة .. ثم رغبهم ﷺ فى ترك المراء ببيان ما أعده الله تعالى لمن ترك المراء وهو صادق ، .. ثم ختم موعظته بقوله : " إن أول ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان المراء " وفى ذلك إشارة إلى خطورته . والموعظة تدعو إلى

---

(١) الترغيب والترهيب حـ١ ص ٨١ ك العلم . باب الترهيب من الجدال والمخاصمة .

ترك المراء والجدل بالباطل والمكابرة .

الصور البيانية فى الموعظة :

فى قوله ﷺ : " ذروا المراء لقلة خيره " فى قوله " لقلة خيره " كناية عن انعدام الخير فيه .

وفى قوله " تمت خسارته " استعارة تصريحية أصلية فى " خسارته " حيث استعيرت الخسارة لسوء العاقبة .

كما أن فى قوله - ﷺ - " أنا زعيم بثلاثة أبيات .. " تشبيه حيث شبه - ﷺ - نفسه بالكفيل والضامن لما وعد به ، وفى هذا التشبيه تطمين إلى الوعد ، ومزيد الثقة فيه .

(١٣) موعظة فى الترغيب فى الوضوء :

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ، قالوا بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء (١) على المكاره (٢) ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط (٣) ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط (٤) .

شرح الموعظة :

فى هذه الموعظة يرغب النبى ﷺ فى إسباغ الوضوء الذى هو شرط من شروط الصلاة ، والمشى إلى المساجد . والمكث فيها وانتظار الصلاة وقد رغب ﷺ فيها ببيان أنها أعمال صالحة يمحو الله تعالى بها الخطايا ،

(١) إسباغ الوضوء : إكماله وإتمامه واستيعاب أعضائه بالماء .
(٢) المكاره : جمع مكرهة بمعنى الكره والمشقة . وهى شدة البرد . وكل حال يكره فيها المرء نفسه على الوضوء
(٣) الرباط : ملازمة المسجد لانتظار الصلاة . أو مواظبة الصلاة . أو حبس النفس على الطاعة .
(٤) مسلم بشرح النووى حـ ٣ ص ١٤١ ك الطهارة . باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره . الموطأ حـ ١ ص ١٦١ ك قصر الصلاة فى السفر . بابا انتظام الصلاة والمشى إليها

ويرفع بها الدرجات . وكل مسلم يرجو ذلك من الله سبحانه وتعالى ثم ختم ﷺ الموعظة بقوله : " فذلكم الرباط " أى الرباط المرغب فيه .. ويحتمل أنه أفضل الرباط كما قيل الجهاد جهاد النفس .. ويحتمل أنه الرباط المتيسر الممكن .. وحكمة تكراره للاهتمام به وتعظيم شأنه . وقيل كرره ﷺ على عادته فى تكرار الكلام ليفهم عنه والأول أظهر والله أعلم . (١)

والموعظة ترغب فى إسباغ الوضوء . وكثرة المشئ إلى المساجد . والجلوس فيها .

الصور البيانية فى الموعظة :

فى قوله ﷺ : " ما يحو الله به الخطايا " استعارة مكنية حيث شبهت الخطايا بشئ مادى محسوس ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو المحو .

كما أن فى قوله ﷺ " فذلكم الرباط " تشبيه حيث شبهت الأشياء المشار إليها بالرباط فى سبيل الله لعظم الأجر عليها .

(١٤) موعظة فى الترهيب من ترك إسباغ الوضوء :

عن عبد الله بن عمرو قال رجعنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة حتى إذا كنا بماء بالطريق تعجل قوم عند العصر فتوضؤا وهم عِجَال فانتهينا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسَّها الماء ، فقال رسول الله ﷺ ويل (٢) للأعقاب (٣) من النار ، أسبغوا الوضوء (٤)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى حـ ٣ ص ١٤٢ .

(٢) جاز الابتداء بالنكرة لأنه دعاء .'وويل واد فى جهنم . والمعنى هلكة وخيبة .

(٣) اللام للعهد . والعقب مؤخر القدم

(٤) صحيح البخارى مع الفتح حـ ١ ص ٢٦٥ ك الوضوء . باب غسل الأعقاب . وصحيح مسلم بشرح النووى حـ ٣ ص ١٢٨ ك الطهارة . باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما .

شرح الموعظة :

لقد رأى رسول الله ﷺ بعض أصحابه رضى الله عنهم يتوضؤن ويمسحون على أرجلهم ، وحق الرجلين الغسل ، فأنكر عليهم ، ووقف واعظاً مرهباً من ترك غسل الرجلين وترك إسباغ الوضوء ، ونادى بأعلى صوته " ويل للأعقاب من النار " مرتين أو ثلاثاً (١)

والمعنى ويل لأصحاب الأعقاب المقصرين فى غسلها .. ولو كان المسح كافياً لما تواعد من ترك غسل عقبيه .

وفى نهاية موعظته أمرهم ﷺ أن يسبغوا الوضوء ويكملوه .

الصور البيانية فى الموعظة :

فى قوله ﷺ " وأعقابهم تلوح " كناية عن عدم وصول الماء إليها ، ومن ثم فهى تظهر ، أى لم يجر عليها الماء فيسترها .

كما أن فى قوله ﷺ : ويل للأعقاب من النار " مجازاً مرسلاً علاقته الجزئية ، حيث أطلق الأعقاب وأراد الأرجل ، إذ الأعقاب حين لم تغسل .. لم يتحقق الغسل للرجلين ، وخص الأعقاب بالذكر تنبيها على أهمية غسلها .

(١٥) موعظة فى الترغيب في الصلاة والمحافظة عليها :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ قالوا لا يبقى من درنه شئ . قال فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا (٢)

---

(١) كما فى رواية البخارى .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح جـ ٢ ص ١١ ك مواقيت الصلاة . باب الصلوات الخمس كفارة ومسلم بشرح النووى واللفظ له جـ ٥ ص ١٧٠ ك الصلاة . باب فضل الصلاة المكتوبة

شرح الموعظة :

يرغب النبى ﷺ فى أداء الصلوات الخمس مبيناً أثرها فى مغفرة الذنوب ومحو الخطايا ، وأن مثل الذى يؤدى الصلوات الخمس كمثل رجل يغتسل فى نهر أمام بيته خمس مرات .

والموعظة تدعو إلى إقام الصلاة فى وقتها ، وترغب في المحافظة عليها .

الصور البيانية فى الموعظة :

في قوله ﷺ: " فكذلك مثل الصلوات الخمس " تشبيه .

فالمشبه شأن الصلاة وصفتها من حيث ما يترتب عليها من اثار .

والمشبه به نهر يغتسل فيه الإنسان كل يوم خمس مرات .

ووجه الشبه تحقيق الطهارة فى الحالين .

قال ابن العربى : وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة فى بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنبا إلا أسقطته (١) .

وفى قوله ﷺ " يمحو الله بهن الخطايا " استعارة مكنية .. سبق بيانها فى الحديث الشريف " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا "

(١٦) موعظة فى الترهيب من الفاحشة وبخس الكيل والوزن و منع الزكاة ونقض العهد :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ .

فقال : يا معشر المهاجرين خمس خصال (٢) إذا ابتليتم (٣) بهن وأعوذ

---

(١) فتح البارى بشرح البخارى حـ ٢ ص ١١ ، ١٢

(٢) الخصلة : خلق فى الإنسان يكون فضيلة أو رذيلة . جمع خصال .

(٣) ابتليتم : على بناء المفعول . والجزاء محذوف أى فلا خير . أو حل بكم من أنواع العذاب الذى يذكر بعده .

بالله أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة (١) فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا .

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين (٢) وشدة (٣) المؤنة (٤) وجور (٥) السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر (٦) من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط (٧) الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا (٨) فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم (٩) .

شرح الموعظة :

فى هذه الموعظة يحذر النبى ﷺ أمته من خمس خصال - أى أخلاق - رذيلة ، مدمرات للأرواح ، ومهلكات للأقوال ، وهذه الخصال هى : الزنا ، وبخس الكيل والوزن ، ومنع الزكاة ، ونقض العهد ، والحكم بغير كتاب الله.

فالأولى - الزنا - تصيب صاحبها وأهلها بالأمراض والأوجاع التى لم تكن مضت فيمن قبلهم ، وأكبر دليل على هذا " مرض الإيدز " الذى يدمر

---

(١) الفاحشة : مؤنث الفاحش . وهى القبيح الشنيع من قول أو فعل جمع . فواحش . والمراد بها هنا " الزنا " وقد سمى القرآن الكريم الزنا فاحشة " ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا " الاسراء الآية ٣٢ .

(٢) السنين : القحط .

(٣) الشدة : شدة العيش : شظفه وضيقه .

(٤) المؤنة : القوت

(٥) جور . ظلم يقال جار فى حكمه . ظلم

(٦) القطر المطر

(٧) سلط يقال سلطه عليه مكنه منه وحكمه فيه

(٨) تخيروا يقال خير الشئ على غيره فضله عليه

(٩) سنن ابن ماجة حـ ٢ ص ١٣٣٢ ك الفتن باب العقوبات والترغيب والترهيب حـ ٣ ص ٢١

أهل الغرب تدميراً .

والثـانيـة – نقص الكيل والميزان – تصيب أهلها بالقحط ، وضيق العيش ، وظلم الحكام لهم .

والثالثة – منع الزكاة – تصيب أهلها بحرمان المطر ، وقد رأى الناس ذلك تكراراً ومراراً ، ولولا البهائم لمنع الله تعالى مانعى الزكاة المطر .

والرابعـة – نقض العهد – أى نقض عهد الله وعهد رسوله ، تصيب أهلها بتمكين العدو منهم ، وتحكيمه فيهم ، وسلب أموالهم ، وأخذ أوطانهم .

والخـامسة – الحكم بغير القرآن – تصيب أهلها بالشقاء والمشقة ، والفقر والشدة .

والموعظة تدعو إلى التحلى بالأخلاق الحسنة . والتخلص من الرذائل . والرجوع إلى القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ .

الصور البيانية في الموعظة :

فى قوله ﷺ " أخذوا بالسنين " استعارة تصريحية تبعية فى الفعل " أخذوا " حيث استعير الأخذ للقهر والغلبة وللإهلاك ثم اشتق منه " أخذوا " بمعنى " قهروا ، وغلبوا ، وأهلكوا "

وقد غلب استعمال السنة فى معنى القحط حتى صارت كالعلم له ، لكثرة ما يذكر ويؤرخ به ، وقد اشتقوا منها ذلك فقالوا " أسنت القوم إذا قحطوا " وقلبوا اللام تاء ليفرقوا بين ذلك وبين قولهم " أسنى القوم إذا لبثوا فى موضع سنة " وجمع السنين باعتبار كثرة مواقعها ، أى أصابهم القحط فى جميع الأرض والبلدان .

وفى قوله ﷺ " جعل الله بأسهم بينهم " كناية عن اقتتالهم وتشاحنهم ، وشيوع أسباب الشقاق والفرقة فيهم .

(١٧) موعظة فى الترهيب من عقوق الوالدين :

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم . وإياكم والبغى فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغى . وإياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام . والله لا يجدها عاق . ولا قاطع رحم . ولا شيخ زان . ولا جار إزاره خيلاء . إنما الكبرياء لله رب العالمين . والكذب كله إثم إلا ما نفعت به مؤمنا . ودفعت به عن دين . وإن فى الجنة لسوقا ما يباع فيها ولا يشترى ليس فيها إلا الصور . فمن أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها (١) .

شرح الموعظة :

بدأ النبى ﷺ موعظته بالأمر بتقوى الله وصلة الأرحام مبيناً للمسلمين سرعة ثوابهما ومكافأة الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل .

ثم نهى عن الظلم وحذر منه لأنه ظلمات يوم القيامة ، مبينا سرعة عقوبة الظلم ، ثم حذر من عقوق الوالدين ، وعدم الإحسان إليهما ، لأن ذلك من أكبر الكبائر ، ثم أقسم رسول الله ﷺ على أن العاق لوالديه لا يجد ريح الجنة مع أنها توجد من مسيرة ألف عام .. وكذلك قاطع الرحم .. والشيخ الزانى .. والمتكبر ..

والموعظة تدعو إلى صلة الرحم . وبر الوالدين ، وتحذر من الظلم ، والعقوق ، وقطع الرحم ، والزنا ، والكبر ، والكذب .

---

(١) الترغيب والترهيب - الحافظ المنذرى حـ ٣ ص ٢٢ ك البر والصلة باب الترهيب من عقوق الوالدين وقال : ورواه الطبرانى فى الأوسط

الصور البيانية فى الموعظة :

فى قــوله ﷺ : " صلوا أرحامكم " استعارة تصريحية تبعية حيث استعير الوصل للمودة بجامع الأثر المترتب على كل منهما ، ثم اشتق من الوصل " صلوا " بمعنى " ودوا " وفى هذه الاستعارة بيان لما تحدثه المودة من أثر يجعل العلاقة وصلاً دائما ..

وفى قــوله ﷺ : " فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم " مجاز مرسل فى قوله " من صلة الرحم " حيث أطلق السبب وهو الصلة وأراد المسبب عنه وهو الثواب ، فالمجاز هنا علاقته السببية .

(١٨) موعظة فى الترغيب في التقوى والحسنة والخلق الحسن :

عن أبى ذر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قـال : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن . (١)

شرح الموعظة

تشمل هذه الموعظة على ثلاثة أوامر هى :

" اتق الله حيثما كنت " والمراد بتقوى الله فعل طاعته . واجتناب معاصيه ، فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، فعل المندوبات . وترك المكروهات .

" وأتبع السيئة الحسنة تمحها " لابد أن يقع من المسلم أحيانا تفريط فى التقوى إما بترك بعض المأمورات أو بارتكاب بعض المحظورات .. ولذا أمر ﷺ المسلم أن يفعل ما يمحو به هذه السيئة .

---

(١) سنن الترمذي جـ٤ ص ٥٥ ك كتاب البر والصلة ما جاء فى معاشرة الناس والترغيب والترهيب [illegible]

قال تعالى (**إن الحسنات يذهبن السيئات**) (١)

وقال تعالى (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا مبصرون**) (٢)

" وخالق الناس بخلق حسن " هذا من أخلاق أهل التقوى ، ولا تتم التقوي إلا به ، فكثير من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق العباد ، فنص له الأمر بإحسان العشرة للناس .

جاء في جامع العلوم والحكم " والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً لا يقوي عليه إلا الكمل من الأنبياء والصديقين" (٣)

الصور البيانية في الموعظة :

في قوله ﷺ : " أتبع السيئة الحسنة تمحها " استعارة بالكناية وذلك أن في " تمحها " ضمير مستتر يعود على الحسنة . وتقدير الكلام " تمحو الحسنة السيئة " فشبهت الحسنة في قوة أثرها بشئ مادي قوي ، ثم حذف المشبه به وهو الشئ المادي القوي .. ورمز إليه بشئ من لوازمه . وهو المحو ، وفي هذه الاستعارة تصوير لقوة أثر الحسنة .

هذه بعض مواعظ النبي ﷺ في مقام الدعوة إلى الله تعالى ، والتي ثبت بها عقيدة التوحيد في قلوب العباد ، وطهر قلوبهم من الشرك والنفاق .

ومواعظه ﷺ نور لمن اتبعها ، وقوة لمن استند إليها .

من اتجه إليها في دعوته قادته إلى الإصلاح ، ومن أعرض عنها حرم من الخير وهداية الخلق .

---

(١) سورة هود الاية : ١١٤

(٢) سورة الأعراف الآية : ٢٠١

(٣) جامع العلوم والحكم . لابن رجب الحنبلي ص ١٥٩

المبحث الثانى

آداب النبى ﷺ فى الموعظة

١ - الاقتصاد فى الموعظة :

كان ﷺ لا يكثر من الموعظة . ولا يعظ إلا عند الحاجة إليها . وعند وجود سبب يدعو إليها . وذلك خوفاً على مستمعيه من الملل وعدم الفهم .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان النبى ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا . (١)

جاء فى " فتح البارى "

(والمعنى كان يراعى الأوقات فى تذكيرنا ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل)

ويستفاد من الحديث استجاب ترك المداومة فى الجد فى العمل الصالح خشية الملال . وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين : إما كل يوم مع عدم التكلف . وإما يوماً بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثانى بنشاط . وإما يوماً فى الجمعة . ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص .

والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط) (٢)

ولا شك فى أن الاقتصاد فى الموعظة يحمى الموعوظ من الملل والإنصراف . ويشوقه إلى موعظة أخرى . ويدفعه إلى العمل بما علم .

٢- التنويع فى الأسلوب :

كان النبى ﷺ فى مواعظه ينوع فى الأسلوب ، ويجدد فى الطريقة ويجعل لكل موعظة عبارة ، ولكل تذكير إشارة . ولكل نصيحة صوت ولون . ففى مقام الترغيب يأتى بألفاظ التشويق . وعبارات التبشير . وأساليب

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح حـ١ ص ١٦٢ ك العلم . باب ما كان ﷺ يتخولهم بالموعظة .
صحيح مسلم بشرح النووى حـ١٧ ص ١٦٣ ك صفات المنافقين . باب الاقتصاد فى الموعظة

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى حـ ١ ص ١٦٢

وفى مقام الترهيب يأتى بألفاظ التخويف والتهويل . وعبارات التهديد والوعيد . ومن التنويع فى الأسلوب أيضا أنه ﷺ كان يجعل الموعظة فى صورة خبرية . وأحياناً كان يستخدم السؤال وصيغ الاستفهام . وأحيانا ﷺ يجعل الموعظة حواراً كقوله ﷺ " .. أتحبه لأمك . قال : لا .. أتحبه لابنتك . قال : لا .. أتحبه لأختك . قال : لا .. " (١)

ومن التنويع أيضاً أنه ﷺكان يسأل السؤال ويرد فى الحال . وأحياناً كان لا يرد فى الحال . كما فعل مع معاذ بن جبل عندما قال له " هل تدرى ما حق الله على العباد . قلت الله ورسوله أعلم .. ثم سار ساعة .. " (٢)

٣- مخاطبة العقل والنفس :

العقل والنفس أشرف وأهم ما فى الإنسان . وقد ركز عليهما ﷺ فى مواعظه ، فخاطب النفس .. وحاور العقل .. زكى الأولى . وأقنع الثانى بالحق .

والناظر فى مواعظ النبى ﷺ يجد أنه اعتمد على ما يتقبله العقل السليم . وتسلم به النفس ويألفه الذوق . ويتلمسه الوجدان . ولا تقف دونه البديهة . ولا تنكره الحقيقة . ولذا اتعظ كل موعوظ بمواعظه . وتأثر بها كل مستمع . واهتدى بها كل ضال .

٤- عموم مواعظه :

ومن آدابه ﷺ فى الموعظة . أنه ﷺ عم الجميع بوعظة . فقد وعظ

(١) المسند حـ٥ ص ٢٥٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى حـ ١ ص ٢٣١ ك الإيمان . باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

المسلمين وغير المسلمين .. ووعظ الرجال والنساء . والكبار والصغار والأغنياء والفقراء . والأصحاء والمرضى .. وأعطى كل طبقة ما تستحقه من موعظة . فموعظة المسلمين تختلف عن موعظة غير المسلمين . وموعظة الرجال تختلف فى بعض الأمور عن موعظة النساء . وموعظة الأغنياء تختلف عن موعظة الفقراء .

فمثلا : كان يعظ غير المسلمين بالترغيب فى الإسلام من ذلك كقوله ﷺ

(يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) (١)

وكان يعظ المسلمين بالترغيب فى الصلاة والترهيب من تركها ... الخ

٥- شمول مواعظه :

ومن أروع مناهجه فى الموعظة أنها شملت الإسلام كله عقيدة وشريعة وأخلاقاً . وشملت الحياة كلها سياسة واقتصاداً واجتماعاً ..

لقد رغب رسول الله ﷺ فى كل ما دعا إليه الإسلام ورغب فيه ورهب من كل ماحذر منه الإسلام .. ومواعظه ﷺ أكثر من أن تحصي . وحسبنا أن نرجع إلى كتاب " الترغيب والترهيب " للإمام المنذرى لنرى مواعظه ﷺ التى شملت رسالة الإسلام وشئون الدنيا والآخرة .

٦- رعاية مقتضى الحال :

ومن أجمل الآداب التى نراها فى مواعظ الرسول ﷺ رعاية مقتضى الحال فى الأسلوب والوسيلة والموضوع .

فقد كان يرغب من يحتاج إلى ترغيب فقط . ويرهب من يحتاج إلى ترهيب فقط .

(١) المسند للإمام أحمد بن حنبل حـ ٤ ص ٣٤١ ، ٣ /٤٩٢ وسنده حسن . وله شاهد عند ابن حبان برقم ١٦٨٣ . والحاكم فى المستدرك بإسنادين ١ / ١٥

ويجمع بينهما عند الحاجة . وكان يورد لكل مقام مقالا يليق به . ويخاطب كل طبقة بما يناسبها .

ومن ذلك أيضاً أنه ﷺ كان يوجز إذا اقتضى الحال ذلك كما فى مكاتبة الملوك والأمراء . ويطنب عند مقتضى الحال كما فى الحث على التزام الأحكام . وتوجيه النفوس إلى التجمل بالفضائل .

وأكبر شاهد على هذا الأدب الرفيع . أنه ﷺ كان يوصى البعض بإقامة الصلاة فى أوقاتها .. ويوصى البعض ببر الوالدين .. ويوصى البعض بعدم الغضب .. ويوصي البعض بالجهاد فى سبيل الله .

وهذا الأدب جعل مواعظ النبى ﷺ مألوفة للعقول . خفيفة على القلوب . مرضية للنفوس .

٧- ضرب الأمثال وصوغ التشابيه :

المعانى منها ما هو واضح قريب . ومنها ما هو خفى بعيد . والناظر فى مواعظ النبى ﷺ يجد الأمثال التى تظهر الحقائق الخفية . وتقرب المعانى البعيدة حتى تصير واضحة مألوفة . من ذلك

قوله ﷺ (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها حلو ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو . ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر . ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) (١)

وقوله ﷺ (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح حـ ٩ ص ٥٥٥ ك الأطعمة . باب ذكر الطعام .
ومسلم بشرح النووى حـ ٦ ص ٨٣ ك صلاة المسافر . باب فضيلة حافظ القرآن

الواحد . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (١)

وقوله ﷺ (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ قالوا لا يبقى من درنه شئ قال فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) (٢)

٨- الرفق والحلم :

الرفق والحلم من آداب النبى ﷺ فى الموعظة فقد عم كل موعوظ برفقه . وشمله بحلمه . حتى اتعظ بوعظه . واعتبر بنصحه . وتأثر بحسن خلقه .

وقد شهد له القرآن الكريم (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) (٣)

فمن ذلك : لما قام أعرابى فبال فى المسجد فتناوله الناس . فقال لهم النبى ﷺ " دعوه . وهريقوا على بوله سجلا من ماء . فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين (٤) .

ولما قال له شاب ائذن لى فى الزنا وهم الناس بضربه فنهاهم عن ذلك ثم وعظه برفق ولين وحلم " أتحبه لأمك ... الخ "

ومن رفقه وحسن معاملته فى الموعظة أنه ﷺ كان يخاطب الموعوظ بأحب الأسماء كقوله لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما " يا غلام " وقوله لمعاذ بن جبل ﷺ " يا معاذ بن جبل " وقوله " يا معشر المسلمين " وقوله " يا

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح حـ ١٠ ٤٣٨ ك الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم .
ومسلم بشرح النووى حـ١٦ ص ١٤٠ ك البر والصلة . باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .
(٢) صحيح البخارى مع الفتح حـ ٢ ص ١١ ك مواقيت الصلاة . باب الصلوات الخمس كفارة .
(٣) سورة آل عمران الاية ١٥٥
(٤) صحيح البخارى مع الفتح حـ ١ ٣٢٣ ك الوضوء باب صب الماء على البول فى المسجد

معشر المهاجرين " .

وهكذا ينبغى أن يكون الواعظ مع الموعوظ . يأخذه برفق . ويعلمه بلطف . ويخاطبه بلين . قال تعالى (**فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى**) (١)

٩- التعريض والتلميح :

ومن آدابه ﷺ الراقية البالغة منتهى الحكمة . التعريض فى الخطاب . والتلميح فى الموعظة . فلم يواجه أحداً بخطئه . ولم يذكر أحداً فى موعظة .

فعن أنس بن مالك . قال صلى رسول الله ﷺ يوماً بأصحابه فلما قضى الصلاة أقبل على القوم بوجهه فقال " ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء " حتى اشتد قوله فى ذلك " لينتهن عن ذلك أو ليخطفن الله أبصارهم " (٢)

وعن عائشة رضى الله عنها أن بريرة أتتها وهى مكاتبة . قد كاتبها أهلها على تسع أواق . فقالت لها : إن شاء أهلك عددت لهم عدة واحدة . وكان الولاء لى . قال . فأتت أهلها . فذكرت ذلك لهم . فأبوا إلا أن تشترط الولاء لهم . فذكرت عائشة ذلك للنبى ﷺ . فقال " افعلي " قال فقام النبى ﷺ فخطب الناس . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال " مابال رجال يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط . كتاب الله أحق وشرط الله أوثق . والولاء لمن أعتق . (٣)

---

(١) سورة طه : الآية ٤٤

(٢) صحيح البخارى مع الفتح حـ ٢ ص ٢٣٢ ك الأذان . باب رفع البصر إلى السماء فى الصلاة سنن ابن ماجة حـ ١ ص ٣٣٢ ك إقامة الصلاة . باب الخشوع فى الصلاة

(٣) صحيح البخارى مع الفتح حـ ٥ ص ١٨٧ ك المكاتب .. باب ما يجوز من شروط المكاتب وصحيح مسلم بشرح النووى حـ١٠ ص ١٤٤ ك العتق . باب إنما الولاء لمن أعتق . وسنن ابن ماجة حـ ٢ ص ٨٤٢ ك العتق . باب المكاتب .

ولا يخفى على أحد أن التصريح يهتك حجاب الهيبة . ويورث الجرأة على الهجوم . والتبجج بالمخالفة . ويهيج على الإصرار والعناد . ويقطع الموعظة ويدمرها . أما التعريض فيستميل النفوس الفاضلة . والأذهان الذكية . والبصائر اللماحة . ويدفع الموعوظ إلى قبول الموعظة . والإقلاع عن الخطأ والمعصية . ويحفظ الموعظة من التشويش والقطع .

وقد تخلى عن هذا الأدب الرفيع بعض الوعاظ - خاصة فى العصر الحاضر - ولجأوا إلى التصريح . فلم تثمر مواعظهم . ولم يعالجوا داءً . ولم يقوّموا أمراً . وتسببوا فى حرمان أنفسهم وغيرهم من الدعوة إلى الله تعالى .

١٠ - الاستعانة ببعض الأفعال :

كان ﷺ يعظ بالقول . ويعظ بالفعل . وأحياناً يخلط القول بالفعل .. وذلك حسبما يقتضى الحال .

فعن أبى عثمان قال كنت مع سلمان رضي الله عنه تحت شجرة فأخذ غصنا منها يابساً فهزه حتى تحات ورقه قال يا أبا عثمان ألا تسألنى لم أفعل هذا . قلت ولم تفعله قال هكذا فعل بى رسول الله ﷺ وأنا معه تحت الشجرة فأخذ منها غصناً يابساً فهزه حتى تحات ورقه فقال " يا سلمان ألا تسألنى لم أفعل هذا . قلت ولم تفعله قال إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء . ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق . وقال " وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين " (١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال " خط النبى ﷺ خطاً مربعاً . وخط خطاً فى

---

(١) الترغيب والترهيب حـ ١ ١٤٠ ك الصلاة . باب الترغيب في الصلوات الخمس . وقال رواه أحمد والنسائى والطبرانى ورواة أحمد محتج بهم فى الصحيح إلا على بن يزيد .

الوسط خارجاً منه . وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط . فقال هذا الإنسان . وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به . وهذا الذي هو خارج أمله . وهذه الخطط الصغار الأعراض .

فإن اخطأه هذا نهشه هذا . وإن اخطأه هذا نهشه هذا .

وروى أن رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة فقال : أترون هذه الشاة هنية على أهلها ؟ قالوا من هوانها ألقوها . قال : والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها . ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء (١)

ولا شك أن اشتراك الفعل مع القول فى بعض المواعظ .. يوضح المعنى . ويكشف الحقيقة . ويصور الغاية . ويثبت الموعظة فى الذهن . ويقوى أثرها فى نفس الموعوظ .

١١- الاستعانة بالإشارة :

كان النبى ﷺ يستعين ببعض الإشارات .. وذلك لأنها مما يوضح المعنى . ويثبت أثره فى سامعيه .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما " (٢)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ " بعثت أنا والساعة كهاتين " وجمع بين إصبعيه (٣)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : "المسلم أخو المسلم لا

---

(١) سنن ابن ماجة حـ ٢ ص ١٣٧٧ ك الزهد . باب مثل الدنيا ، والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد . وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ص ٤٣٦ ك الأدب . باب فضل من يعول يتيما .

(٣) سنن ابن ماجة حـ ١ ص ١٧ المقدمة . باب اجتناب البدع والجدل .

يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا . التقوى ههنا . التقوى ههنا ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم حرام دمه وعرضه وماله " (١)

ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت . وحسن الإشارة من تمام حسن البيان . والإشارة وليدة الانفعال .

١٢ - الاستشهاد بأحوال الماضين :

ومن أروع آدابه ﷺ الاستشهاد بأحوال الماضين . وأخبار السابقين . ففى ذلك عبرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحطت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم .

قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بى طلب شجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر . زاد بعض الرواة : والصبية يتضاغون عند قدمى . فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئاً لا يستطيعون الخروج .

قال النبى ﷺ : قال الآخر : اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى . فأردتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ١٢٠ ك البر والصلة . باب تحريم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله

فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها ففعلت . حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه . فتحرجت من الوقوع عليها . فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلي وتركت الذهب الذى أعطيتها . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

قال النبى ﷺ . وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين . فقال لى يا عبد الله أد إلى أجرى فقلت : كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بى : فقلت إنى لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا يمشون " (١)

وقد جاء رسول الله ﷺ بقصة هؤلاء فى مقام الترغيب فى الإخلاص والصدق فى الأقوال والأعمال .

وفى مقام الترغيب فى التوبة ذكر قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً (٢)

وفى مقام الترغيب فى قضاء الدين ذكر رجلامن بنى إسرائيل استلف من رجل ألف دينار (٣)

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح جـ ١٠ ص ٤٠٤ ك الأدب . باب إجابة دعاء من بر والديه .
صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٥٥ ك الرقائق . باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال .

(٢) مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٨٢ ك التوبة باب قبول التوبة القاتل وإن كثر قتله .

(٣) صحيح البخارى مع الفتح جـ ٤ ص ٤٦٩ ك الكفالة . باب الكفالة فى القرض والديون بالأبدان وغيرها . والترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣٤ ك البيوع . باب الترغيب فى قضاء الدين .

وفـي مقـام الترغيب في السـعـي على اليتيـم والمسكين ذكر قـصـة يعقوب عليه السلام (١) .

ولا شك أن في ذكر قصص السابقين . وأخبار الماضين عبرة وذكرى . وقد أكد ذلك القرآن الكريم . قال تعالى (**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**) (٢)

١٣ - القسم :

كثيراً ما كان يقسم ﷺ في مواعظه ليوكد الحق . ويزيل الشك من نفس كل مرتاب ويثبت الموعظة في نفس الموعوظ .

فمن ذلك قوله ﷺ (يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به . إني جئتكم بأمر الدنيا والآخرة) (٣)

وعـن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شـأن المخزوميـة التي سرقت فقالـوا من يكلـم فيها رسول الله ﷺ . فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ " يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام فاختطب فقال إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيـهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (٤)

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ٣ ٢٣٢ ك البر والصلة . باب الترغيب في السعي على الأرملة والمسكين وقال رواه الحاكم ،البيهقي والاصبهاني واللفظ له .

(٢) سورة يوسف الآية : ١١١

(٣) سيرة ابن كثير جـ ١ ص ٤٥٨ ، ٤٥٩

(٤) صحيح البخاري مع الفتح جـ ١٢ ص ٨٧ ك الحدود . باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان . سنن أبي داود جـ٤ ص ١٣٠ ك الحدود . باب في الحد يشفع فيه . سنن ابن ماجة جـ٢ ص ٨٥١ ك الحدود . باب الشفاعة في الحد . الحديث رقم ٢٥٤٧

ولا يخفى على أحد أن القسم فى الموعظة يؤكد صدق الواعظ وإخلاصه والتزامه بها . ويدعو إلى احترام الحق والإيمان به .

١٤ - الغضب فى بعض المواعظ :

كان ﷺ يغضب لله تعالى وذلك إذا رأى معروفاً متروكاً . أو منكراً مفعولاً .

فعن أبى مسعود الأنصارى قال : قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان . فما رأيت النبى ﷺ فى موعظة أشد غضباً من يؤمئذ فقال " أيها الناس إنكم منفرون . فمن صلى بالناس فليخفف . فرن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة " (١)

كان صلي الله عليه وسلم يغضب ويعظ ولا يخرجه الغضب عن حدود الحلم والحكمة والرحمة بالموعوظ . وذلك غضب محمود .

هذه بعض آداب النبى ﷺ فى الموعظة . وهى قليل من كثير . فآدابه فى الموعظة أكثر من أن تحصى .

والمواعظ الموفق هو الذى يتأس برسول الله ﷺ. ويتحلى بآدابه . حتى لا يضلها فى دعوة . ولا ينحرف فى موعظة . ويكون على بنية وبصيرة .

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح حـ ١ ص ١٨٦ ك العلم . باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره .

الفصل الرابع

ضوابط الموعظة الحسنة

ضوابط الموعظة :

معنى الضابط

جاء في المعجم الوجيز (ضبطه ضبطاً : حفظه بالحزم حفظاً بليغاً . وأحكمه وأتقنه . ويقال : ضبط البلاد وغيرها : قام بأمرها قياماً ليس فيه نقص . وضبط الكتاب ونحوه : أصلح خلله . أو صححه وشكله . والضابط عند العلماء : حكم كلي يتطبق علي جزئياته . ج ضوابط) (١)

تحمل اللفظة بين طياتها معاني الحفظ والإحكام والإتقان والقيام بالأمر والإصلاح والتصحيح والتشكيل . وإذا أضيف إلى كلمة الموعظة عنى بها إحكام الموعظة وإتقانها . وإصلاحها وتصحيها من الواهي والمنكر والموضوع . والقيام بها على وجه يرضى الله تعالى .

وضوابط الموعظة كثيرة أهمها ما يلي :

(ا) الإعراض عن الإسرائيليات والحذر من الموضوعات .

ينبغي أن تكون الموعظة ثابتة الأصول . باسقة الفروع . تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . وسبيل ذلك التمسك بالصحيح وترك الأحاديث الواهية والمنكرة والموضوعية . والروايات الضعيفة .

فى مجال التفسير :

أ - الإعراض عن الإسرائيليات :

لما عجز اليهود عن مقاومة الإسلام عسكرياً . لجأوا إلى الغزو الثقافى . ودس الإسرائيليات المنكرة فى كتب التفسير حتى امتلأت بها .. وذلك - أى تحريف الكلم - من أخلاقهم السيئة .

---

(١) المعجم الوجيز ص ٣٧٦ .

والذى دعا المسلمين إلى الأخذ عن بنى إسرائيل ما فهموه من حديث البخارى عن عبد الله بن عمرو مرفوعا " بلغوا عنى ولو آية . وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " (١)

قال د/ يوسف القرضاوى :

(وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم . أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم . فأى تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان ؟ اللهم غفرا .

ولابن كثير – رحمه الله – فى تفسيره تعقيبات كثيرة من هذا النوع على الإسرائيليات . تتضمن إنكاره عليها . ورفضه لها . وإن كان يذكرها تبعاً لمن قبله . وفى بعض الأحيان يرفض ذكرها بالكلية مبقياً القرآن على إجماله دون الخوض في تفصيلات لم يأت بها حديث ثابت عن معصوم) (٢)

من ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى **(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً)** (٣)

جاء فى تفسير ابن كثير عن إبليس الأقوال الآتية :

(قال الحسن البصري ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر . رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه .

وقال الضحاك عن ابن عباس كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان

---

(١) البخارى مع الفتح حـ ٦ ص ٤٩٦ ك الأنبياء . باب ما ذكر عن بنى إسرائيل .
(٢) ثقافة الداعية القرضاوى ص ٣٦ ، ٣٧
(٣) سورة الكهف الآية : ٥٠

خازنا من خزان الجنة وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحى ...

وقال الضحاك أيضاً عن ابن عباس كان إبليس عن أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازناً على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هو من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا .

وقال سعيد بن المسيب كان رئيس ملائكة سماء الدنيا .

وقال ابن اسحاق ... عن ابن عباس قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حى بسمون جنا .

وقال ابنت جرير .. عن ابن عباس قال إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى فسخط الله عليه فمسحه شيطاناً رجيماً لعنه الله ممسوخاً .

" ثم قال ابن كثير " وقد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها . ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان . وقد وضع فيها أشياء كثيرة) (١)

ومثل هذه الإسرائيليات ينبغى أن يعرض عنها الواعظ . لما فيها من باطل يتعارض مع الحق المبين .

---

(١) تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٨٨ – ٨٩ .

وحتى لا يقع الواعظ في الخطأ عليه أن يرجع إلى الكتب التى عنيت ببيان الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير منها كتاب " الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير " للدكتور محمد أبو شهبة .

ب - الحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة :

ومما ينبغى أن يحذره الواعظ فى مجال التفسير الحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة التى تتنافى مع حقائق التشريع وعصمة الأنبياء والمرسلين .

قال د/ يوسف القرضاوى (سواء من ذلك ما كان مرفوعاً إلى النبىﷺ وما كان موقوفاً على بعض الصحابة . مثل على وابن عباس وغيرهما . وما كان منسوباً إلى بعض التابعين مثل مجاهد وعكرمة والحسن وابن جبير وغيرهم ، أو منسوباً إلى من بعدهم من أهل العلم .

وكان مثل ابن أبى حاتم وابن مردويه وابن جرير الطبرى . يجمعون فى تفسيرهم الصحيح والحسن . والضعيف والمنكر . بل الموضوع أحياناً من الأحاديث المرفوعة والروايات الموقوفة والمقطوعة .

وإذا أخذنا مفسراً كابن عباس مثالاً فيما نقوله . وجدنا الطرق إليه تختلف قوة وضعفاً وقبولاً ورداً .

فهناك طريق معاوية بن صالح عن على أبى طلحة عن ابن عباس وهذه هى أجود الطرق عنه .

ونحوها : طريق قيس بن مسلم الكوفى عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس .

ودونها : طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو ابن جبير عن ابن عباس . وإسنادها حسن .

ودونها طريق إسماعيل السدى الكبير عن أبى مالك أو عن أبى صالح عن ابن عباس . والسدى هذا مختلف فيه . ولكن روى له مسلم وأهل السنن الأربعة .

وهناك طريق ابن جريج عن ابن عباس . وهذه تحتاج إلى نظر ودقة فى البحث لأن فيها الصحيح والسقيم . لأن ابن جريج لم يقصد الصحة فيما جمع .

وهناك طريق الضحاك بن مزاحم الهلالى عن ابن عباس . وهى منقطعة إليه ، لأن الضحاك روى عنه ولم يلقه . وفى هذه الطريق من الضعفاء من روى عن الضحاك مثل بشر بن عمارة عن أبى روق عنه .

وهناك طريق عطية العوفى عن ابن عباس . وعطية ضعيف .

وطريق مقاتل بن سليمان . وقد ضعفوه . وقد يروى عن مجاهد والضحاك ولم يسمع عنهما . وقد كذبه غير واحد . ولم يوثقه أحد .

وهناك طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس . وهذه هى أوهى الطرق عنه . فإن انضم إلى طريق الكلبى رواية محمد بن مروان السدى الصغير . فهى سلسلة الكذب . كما قال ابن حجر والسيوطى وغيرهما.

ومع هذا فإن المفسرين المتقدمين دونوا هذه الروايات بعجرها وبجرها . حتى أوهى الطرق عن ابن عباس كثيراً ما يخرج منها الثعلبى والواحدى) (١)

وحسب الداعية أن يرجع إلى كتب التفسير عند قوله تعالى **(وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها**

---

(١) ثقافة الداعية د/ القرضاوى ص ٣٩ ٤٠

وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) (١)

يجد أن الروايات ذكرت كلاماً باطلاً . لا يليق برسول الله ﷺ ولا بمقامه الكريم . وما ذكر لم تصح به رواية ولا تسنده دراية .

وقد وجدت هذه الروايات الضعيفة لها أتباعاً يتعلقون بها ويتخذونها وسيلة لمحاربة الإسلام كالمستشرقين والمبشرين .. ووجدت لها أتباعاً من المسلمين يتغنون بها على المنابر وفى حلقات العلم بدعوى أنها فى كتب التفسير ويذكرونها فى كتبهم عن الطبري والزمخشرى والنسفى .. وكأن مجرد هذه النسبة تكفى وتغنى عن البحث فى قيمة الروايات .

والجدير بالذكر أن كثيراً من علماء المسلمين ردوا هذه الروايات الضعيفة منهم :

فضيلة الشيخ محمد الغزالى :

جاء فى كتاب " فقه السيرة " بعد أن ذكر عدداً من الروايات الضعيفة ورد عليها . (إن كثيراً من هذه الخرافات الصغيرة توجد فى كتب شتى عندنا . ولا ندرى متى تنظف هذه الكتب القديمة منها . فهي لا ريب مدخولة عليها أيام غفلة المسلمين وغلبة الدسائس اليهودية على أفكارهم ومخطوطاتهم) (٢)

فضيلة د/ محمد حسين هيكل :

جاء فى كتاب ؛ حياة محمد " تحت عنوان تهافت حديث الغرانيق "

- .. وهو حديث ظاهر التهافت ينقصه قليل من التمحيص . وهو بعد

(١) سورة الأحزاب الآية : ٣٧

(٢) فقه السيرة . الشيخ محمد الغزالى ص ١٢

حديث ينقص ما لكل نبى من العصمة فى تبليغ رسالات ربه . فمن عجب أن يأخذ به بعض كتاب السيرة وبعض المفسرين المسلمين : ولذلك لم يتردد ابن إسحاق حين سئل عنه فى أن قال : إنه من وضع الزنادقة) (١)

وذكر الروايات الضعيفة فى أى مقام لا يأتى بخير . ولا يزيد السامع إلا خبالاً. ويوقع من يذكرها فى حرج . فقد يتصدى له سامع على علم برواية صحيحة . والواعظ هو أولى الناس بترك ونقد الروايات الموضوعة والضعيفة.

قال د/ يوسف القرضاوى :

(ومما ينبغى أن يحذر منه قارئ التفسير : **الأقوال الضعيفة بل الفاسدة** فى بعض الأحيان . وهى أقوال صحية النسبة إلى قائليها من جهة الرواية ولكنها سقيمة أو مردودة من جهة الدراية . وليس هذا بمستغرب مادامت صادرة عن غير معصوم . فكل بشر يصيب ويخطئ . وهو معذور فى خطئه . بل مأجور أجراً واحداً إذا كان بعد تحر واجتهاد . واستفراغ للوسع فى طلب الحق) (٢)

والواعظ الموفق هو الذى يترك الروايات الضعيفة المتهافتة . ويبقى الضعيف من الأقوال والتأويلات .. ولا عذر للداعية اليوم فقد حققت أكثر كتب التفسير . وخرجت أحاديثها . وآثارها . وظهرت الفهارس المرتبة لذلك وليس بعد ذلك تيسير .

فى مجال السنة النبوية :

ومما ينبغى أن يحذر منه الواعظ حتى تكون موعظته كالأترجة طعمها حلو وريحها طيب .الأحاديث الواهية والمنكرة والموضوعة . فإنها إذا دخلت علي

---

(١) حياة محمد د. محمد حسين هيكل ص ١٤١

(٢) ثقافة الداعية القرضاوى ص ٤٢

موعظة أفسدتها وكدرت صفوها . ولذا حذر علماء الحديث من رواية الحديث الموضوع فى مقام الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مع التنبيه عليه . وبيان أنه حديث موضوع . وذلك ليحذر منه القارئ والمستمع .

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من ذلك . فعن سمرة بن جندب مرفوعاً : " من حدث عنى بحديث يرى أن كذب فهو أحد الكاذبين " (١)

وقد بين علماء الحديث حكم الحديث الموضوع والمتروك والمنكر .

الموضـــوع (٢) : أنه ساقط لا عبرة له . وتحرم روايته . والوضع بجميع أنواعه حرام باتفاق جميع المسلمين .

المتروك (٣) : أنه ساقط الاعتبار لشدة ضعفه فلا يحتج به ولا يستشهد به

المنكر (٤) : أنه ضعيف مردود ولا يحتج به (٥)

ولذا ينبغى على الداعية ألا يأخذ الحديث النبوى الشريف من كتب الوعظ والإرشاد والتصوف والتربية والتاريخ والتفسير ونحوها . وذلك لأنها ليست من كتب السنة المعتمدة . ولا تعنى بانتقاء الأحاديث التى توردها وغربلتها ولا تعزوها إلى من خرجها من أصحاب الكتب الحيثية . حتى لو كان مؤلفه من حفاظ الحديث .

قال د/ يوسف القرضاوى : (حتى حفاظ الحديث الناقدون إذا ألفوا في الوعظ وما يتعلق به ترخصوا وتساهلوا إلى حد التفريط فيما يروونه فى بعض الأحيان هكذا وجدنا الإمام ابن الجوزي صاحب " الموضوعات " و "

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٦٢ مقدمة الشارح . باب حال بعض الرواة

(٢) الموضوع : هو الحديث المختلق الذي وضعه واضعه ولا أصل له .

(٣)المتروك :هو ما يرويه متهم بالكذب ولا يعرف الحديث إلا من جهته ويكون مخالفا للقواعد المعلومة.

(٤) المنكر : هو الحديث الفرد الذى لا يعرف متنه عن غير راويه وكان راويه بعيدا عن درجة الضابط

(٥) قواعد أصول الحديث . د/ أحمد عمر هاشم ص ١٢٠ ، ١٢١ .

العلل المتناهية وغيرها يرخى لنفسه العنان فى كتابه " ذم الهوى " وغلبت فيه عاطفة الواعظ على عقلية الناقد الحافظ . وكذلك الحافظ الذهبى رأيناه يتساهل فى كتابه " الكبائر ") (١)

واليوم يشهد العالم الإسلامى نهضة كبري فى تحقيق وتخريج وتبويب كتب الحديث . وتم تسجيلها على شاشات الكمبيوتر . ومن هنا يستطيع الواعظ أن يقف على درجة الحديث بسهولة .

فى مجال التاريخ :

على الواعظ أن يحذر فى المجال التاريخى أمرين هامين :

أولا : أن يحذر الروايات التاريخية التى دونت بلا تمحيص ولا تحقيق :

فى المجال التاريخى على الواعظ أن يعلم أن المراجع التاريخية الكبرى تحوى كثيرا من المبالغات والتشويهات والتحريفات . ولا ينبغى التسليم بكل ما فيها . فليس كل ما فيها صحيحاً .

قال د/ يوسف القرضاوى : (وإذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامى الذى يتعلق بأمثل عصور الإسلام وأفضلها وهو تاريخ العصور الأولى التى انتشر فيها الإسلام فى الآفاق . وانتشر معه لغته وفقهه . واتسع فيها تعلم كتابه وسنة نبيه . وهو تاريخ عصر الصحابة ومن تبعهم بإحسان . وهم الذين أثنى عليهم الله ورسوله . وهم الذين حفظوا القرآن والحديث وبلغوهما إلى الأجيال اللاحقة من بعدهم . إذا نظرنا إلى هذا التاريخ وجدناه قد ظلم وشوه فى كتب التاريخ أى ظلم وتشويه . ثم يجئ المعاصرون ليأخذوا من تلك الكتب بعجرها وبجرها . ويقولون : نحن لم نحد عن الطريقة العلمية فمصدرها الواقدى أو الطبرى أو ابن الأثير . الخ .. جزء كذا صفحة كذا

---

(١) ثقافة الداعية د/ يوسف القرضاوى ص ٦٧

طبعة كذا) (١)

واعتمد على هذه الكتب علماء وأساتذه التاريخ . وطلاب العلم بمختلف مراحلهم . ولم يكلف هؤلاء أنفسهم أن يقوموا بغربلة هذه الكتب وإخراج الغث الذى تكذبه الحقائق الثابتة بالاستقراء أو بالموازنة بالأدلة الناصعة فى مصادر أخرى .. ثم جاء المستشرقون فاعتمدوا على هذه الكتب .. (ولا عجب أن قام فقيه كبير وإمام جليل فى القرن السادس الهجرى هو القاضى " أبو بكر بن العربى " بالدفاع عن الصحابة رضى الله عنهم . وتحقيق مواقفهم بعد وفاة الرسول ﷺ تحقيقاً علمياً موضوعياً . وذلك فى كتابه القيم " العواصم من القواصم " الذى أخرج الجزء الخاص منه بالصحابة وحققه وعلق عليه بإفاضة : العلامة المحقق : الاستاذ محب الدين الخطيب .. وإن خير ما كتب فيما وقع بين الصحابة من مشكلات وما ذكر عنهم من تحقيقات كتاب " معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه " للكاتب المحقق العالم الاستاذ " منير الغضبان " وكذلك كتاب الدولة الأموية " للأستاذ المحقق " يوسف العش ") (٢)

ثانيا : أن يحذر التفسيرات المشوهة للتاريخ من قبل أعداء الإسلام :

لابد للداعية أن يعلم أننا فى عصر الغزو الثقافى . والتيارات الفكرية . وأن تاريخ الإسلام المجيد يتعرض لتفسيرات مشوهة مغرضة من قبل أناس قلبوا الحقائق . وحرفوا الكلم عن مواضعه .

المستشرقون والتاريخ الاسلامى :

الناظر فى مؤلفات المستشرقين يرى أنهم لم يتركوا نقيصة إلا وقد

---

(١) ثقافة الداعية د/ القرضاوى ص ٩٣

(٢) ثقافة الداعية . عبد الله ناصح علوان ص ٩٤

ألصقوها بالإسلام . ولا حقيقة من حقائق الإسلام الناصعة إلا وقد حاولوا طمسها أو تشويه ملامحها الوضيئة حسداً من عند أنفسهم . من ذلك :

هجرة المسلمين إلى الحبشة :

قال د/ عبد العظيم المطعنى(كان مما تناوله المستشرقون من وقائع السيرة الإسلامية المبكرة : هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة . وحاولوا جاهدين أن يفرغوها من محتواها الإيمانى . وأن يفسروها تفسيراً خيالياً يخدم أهدافهم وأهداف سادتهم المبشرين والمستعمرين . والمعروف تاريخياً أن سبب الهجرة إلى الحبشة مرتين كان باعثه الفرار بالدين من الفتن . والنجاة من تنكيل قريش وتعذيبها لمن آمن بالله رباً وبمحمد رسولاً . وبالإسلام ديناً. ولكن المستشرقين الحاقين وهم يعلمون يقيناً هذه الحقائق الثوابت . استعملوا كل وسائل الخبث والمكر فى طمسها ومحوها ليروجوا لباطلهم عساهم أن يصيبوا الإسلام فى مقتل) (١)

وحين تصدى المستشرقون للحديث عن الفتوحات الإسلامية المبكرة قالوا : إن الأزمات الاقتصادية التي تعرض لها المجتمع الإسلامى بعد الهجرة إلي المدينة وضيق المساحات الزراعية . وتزايد عدد السكان . هى الأسباب التى حملت الرسول وخلفاءه من بعده على غزو الممالك والشعوب المجاورة وغير المجاورة .

وحين تحدثوا عن أسباب انتصارات الإسلام قالوا هى روح الإعتداء والتوحش لدى الأعراب . والحقد النفسى . والانحلال الخلقى . والانفجار السكانى . وتفوق السلاح الذى كان يحمله المسلمون .

وهكذا حال المستشرقين مع التاريخ الإسلامى المجيد .

---

(١) افتراءات المستشرقين على الإسلام . د/ عبد العظيم المطعنى ص ٦٦

قال د/ عبد الكريم الخطيب . وربما عرض المستشرقون الواقع الإسلامى فى صورته التى يعرفها المسلمون . ثم يسلطون على هذه الصورة – فى حرص وحذر – سحباً رقيقة ماكرة لا تكاد ترى تحمل فى طياتها ألواناً معتمة تتكاثف شيئاً فشيئاً حتى تطمس معالم الحقيقة دون أن يتنبه لك أحد إلا بعد أن يقضى الأمر وتفوح رائحة الكذب والافتراء) (١)

وقال د/ عبد المتعال الجبري (هكذا يعمل المستشرقون فى عرضهم لتاريخنا يصطادون منكر الروايات ويفسرون ماله ظل من الحقيقة تفسيراً خاطئاً ليسيئوا إلي الإسلام وأهله فى نظر الشباب الغربى حين يجمع بهم الطموح والرغبة فى كشف المجهول وحب الاستطلاع إلى دراسة الإسلام) (٢)

ولقد تصدى علماء الإسلام للمستشرقين وأحقوا الحق . وأبطلوا الباطل وكشفوا حقدهم وبينوا عداوتهم . باللسان وبالكتاب . والتراث الإسلامى فى الرد على المستشرقين لا يمكن حصره .

الماركسيون والتاريخ الاسلامى :

حاول كتاب الماركسية تفسير التاريخ الإسلامى بمفهوم صراع الطبقات . وصولاً إلى تفريغ الدين الإسلامى من محتواه الروحى . ومضمونه العقائدى . والقول بأثر العامل الاقتصادى فى توجيه التاريخ الإسلامى .. وهذا خطأ

لأن العامل الأول فى تشكيل النظم وتطويرها المثاليات الدينية والأخلاقية . ومن أخطر الشبهات التى طرحها الماركسيون . محاولة تصوير عهد الرسول ﷺ والخفاء الراشدين بأنها كانت بسبب الصراع بين اليمين

---

(١) النبى محمد [illegible] الدكتور / عبد الكريم الخطيب ص ٣٤١ – دار الفكر العربى الطبعة الأولى

(٢) الاستشراق [illegible] وجه للاستعمار الفكرى . عبد المتعال محمد الجبرى . ص ٢٥٧ .

واليسار فى الإسلام . وتصور الإسلام على أنه " ثورة : اجتماعية أو إقتصادية . فى حين أنه كان الإسلام دعوة ربانية وليست بشرية (١) .

وقد رد كثير من علماء الإسلام على الأفكار الماركسية والدفاع عن الإسلام . أمثال الاستاذ : محمد كسبه ،د/ حسن شحاته سعفان . والأستاذ أنور الجندى وغيرهم .

هذا ما ينبغى أن يعرض عنه الواعظ ويحذر منه فى مجال التفسير والسنة النبوية المطهرة والتاريخ . وذلك حتى تكون موعظته ثابتة الأصول باسقة الفروع تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

٢- رعاية مقتضى حال الموعوظ :

الناس يتفارتون فى شئونهم وأحوالهم . منهم من يحتاج إلى الترغيب فقط . ومنهم من يحتاج إلى الترهيب فقط . ومنهم من يحتاج إلى الترغيب والترهيب معاً .

والواعظ إذا رغب من يحتاج إلى الترهيب . أو رهب من يحتاج إلى الترغيب . لا تؤثر موعظته وقد تؤدى إلى عكس الهدف منها .. ولذا ينبغى أن يعرف الواعظ حالات الترغيب فقط . وحالات الترهيب فقط . وحالات الترغيب والترهيب معاً . حتى يعظ على بينة وبصيرة . (٢)

حالات الترغيب فقط :

الحالة الأولى : أهل الإسراف فى المعاصى والغلو فيها .

ينبغى للواعظ أن يقربهم من باب التوبة . ويكشف لهم عن رحمة الله بهم . ويبين لهم عفوه ولطفه . ويفتح لهم باب الرجاء .

---

(١) سموم الاستشراق والمستشرقين . أنور الجندى ص ٣١ ، ٣٢ بتصرف .

(٢) وقد رجعت فى ذكر هذه الحالات إلى كتاب د / حسين خطاب « ضوابط العمل الدعوى »

قال تعالى (**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) (١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله : يا ابن آدم . إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالى . يا ابن آدم . لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى . غفرت لك ولا أبالى . يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة (٢) .

لقد فتح القرآن الكريم باب الرجاء لأهل الإسراف فى المعاصى . ورغبهم فى التوبة والرجوع إلى الله تعالى . ووعدهم بالمغفرة .

وهكذا ينبغى أن يكون الواعظ مع هذا الصنف من الناس .

ولماذا يفتح الواعظ لهذا الصنف من الناس باب الرجاء بالترغيب ؟

قال د/ حسين خطاب (لأن الداعية لو وعظ هذا المدعو مخوفاً إياه على ما عنده من قنوط من رحمة الله . لتأكد لهذا المدعو أنه هالك لا محالة - والعياذ بالله - وأن باب الرجاء فى رحمة الله ومغفرته قد أغلق فى وجهه . وبذا يصير شخصاً مدمراً لكل أخضر ويابس . وكيف لا وقد تأكد له أن باب الرحمة لن يفتح له . وعلى لسان من ؟ على لسان الداعية وليس على لسان العوام) (٣)

من ذلك ما روى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن نبى الله ﷺ قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض

---

(١) سورة الزمر الاية : ٥٣ .

(٢) الجامع الصحيح سنن الترمذى جـ ٥ ص ٥٤٨ كتاب الدعوات . باب فضل التوبة الاستغفار والأحاديث القدسيه جـ ١ ص ٧٧ باب ما جاء تصحيح العقيدة .

(٣) ضوابط العمل الدعوى . د/ حسين خطاب ص ٢٩ .

فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال : لا . فقتله فكمل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم من يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له . فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة . وفى رواية " فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها " وفى رواية " فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفرله " (١)

هكذا ينبغى أن يكون الداعية الواعظ مع أهل الإسراف فى المعاصى . يبشر بالرحمة ويرغب فى الطاعة . مجتنباً الترهيب والتخويف .

الحالة الثانية : الإسراف فى الخوف :

من واجب الواعظ مع أهل الإسراف فى الخوف ، والذين نسوا رحمة ربهم وعفوه ومغفرته وسكن الفزع فى قلوبهم فدفعهم إلى الإسراف فى العبادة . أن يعظهم بالترغيب والتبشير . وأن يطمئنهم .

(١) صحيح البخارى مع الفتح حـ ٦ ص ٥١٢ ك الأنبياء . باب ٥٤ حديث رقم ٣٤٧٠ وصحيح مسلم بشرح النووى حـ ١٧ ص ٨٢ ك التوبة . باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله والترغيب والترهيب حـ ٤ ص ٧٧ كتاب التوبة . باب الترغيب فى التوبة .

والحكمة فى ذلك أن الإسراف فى الخوف يدفع الإنسان إلى الإسراف فى العبادة والحرمان من الحقوق المشروعة كالطعام والزواج والنوم .. وهذا يؤدى إلى خلل فى حياة الإنسان . واضطراب فى الكون . وذلك يتعارض مع الاستخلاف فى الأرض . وعمارة الكون .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال " جاء رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً . وقال آخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا . أما والله أنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر . وأصلى وأرقد . وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى " (١)

والواعظ الموفق هو الذى يعيد الرجاء إلى أهل الخوف . ويجعلهم يشعرون بالتوازن النفس . فلا يطغى رجاء على خوف . ولا يطغى خوف على رجاء .

قال الإمام الغزالى (فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفاً ناظراً إلى مواقع العلل معالجاً لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها . فإن المطلوب هو العدل والقصد فى الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها . فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يزيد فى ميله عن الوسط) (٢)

إن ارتفاع درجة الخوف عند المدعو كارتفاع ضغط الدم عند المريض . له

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح حـ٩ ص ١٠٤ ك النكاح ، باب الترغيب فى النكاح ، واللفظ له . وصحيح مسلم بشرح النووى حـ ٩ ١٧٥ ك النكاح . باب استجاب النكاح لمن تاقت نفسه إليه رو[illegible]

(٢) [illegible] الدين الإمام الغزالى حـ ٤ ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

أضرار وآثار . وإذا لم يجد المدعو – أو المريض – من يعالجه دمره وأهلكه . لذا ينبغى أن يسرع الواعظ . ويسعف المدعو بالمطلوب . بحرص وحذر فإن جرعات الترغيب إذا زادت عن المطلوب أضرت بالموعوظ . نتيجة الانخفاض والهبوط الحاد . فيحتاج إلى ترهيب .. وكما يتسبب الطبيب فى بعض الأوقات فى زيادة مرض المريض . كذلك الواعظ إذا لم تكن له فراسة . وقوة ملاحظة .

الحالة الثالثة : المرضى ومن بين يدى الموت :

المريض قد يموت في مرضه الذى هو فيه . ومن بين يدى الموت لا مفر له مما هو فيه إلا بإذن الله سبحانه .. والواعظ ليس أمامه مع هؤلاء ومن على شاكلتهم إلا الترغيب والتبشير . وذلك حتى يظفر المريض بحسن الظن بالله تعالى .

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : يقول الله أنا عند ظن عبدى بى . وأنا معه إذا ذكرنى . فإن ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى وإذا ذكرنى فى ملأ . ذكرته فى ملأ خير منهم . وإن تقرب إلى بشبر . تقريب إليه ذراعاً . وإن تقرب إلى ذراعاً . تقريب إليه باعاً . وإن أتانى يمشى أتيته هرولة (١)

وبالتبشير والترغيب يحب السامع لقاء الله تعالى فيحب الله تعالى لقاءه فعن أبى هريرة رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه . وإذا كره لقائى . كرهت لقاءه) (٢)

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح حـ ١٣ ص ٣٨٤ ك التوحيد . باب قول الله تعالي " ويحذركم الله نفسه " ومسلم بشرح النووى حـ ١٧ ص ١٢ ك الذكر والدعاء والتوبة . باب فضل الذكر والدعاء والأحاديث القدسية حـ ١ ص ٦٢ رقم ٤٥ بابا ما جاء فى حسن الظن بالله تعالى .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح حـ ١٣ ص ٤٦٦ ك التوحيد . باب (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ومسلم بشرح النووى حـ ١٧ ص ١٠ – ١١ ك الذكر والدعاء والتوبة . باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

والأحاديث القدسية حـ ٢ ص ١١ رقم ٣٠١ باب من أحب لقاء أحب الله لقاءه

هذه بعض الحالات التى ينبغى أن يرغب فيها الواعظ بعيدا عن الترهيب ومن خلالها يتبين أن لكل موعوظ عظة ونصيحة وحسب السامع المقبل على الله تعالى حسن الظن بالله تعالى . وحب لقاءه .

ومن المواقف النبوية فى ترغيب المريض : أن رسول الله ﷺ عاد مريضاً . ومعه أبو هريرة . من وعك كان به . فقال رسول الله ﷺ: أبشر فإن الله يقول : هى نارى . أسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار فى الآخرة (١) .

حالات الترهيب فقط :

الحالة الأولى : الإسراف فى المعاصى والولوع بها :

عندما يجد الواعظ قوماً أسرفوا فى المعاصى والذنوب . ونسوا الموت والحساب والجنة والنار . ولا يشعرون بانقضاء العمر . ومرور الوقت . ولا يعرفون طاعة . عليه أن يأمرهم بالتوبة وسرعة الرجوع إلى الله تعالي قبل الموت . ويحذرهم من عقاب الله تعالى وانتقامه . ويبين لهم أن الإنسان مسؤول عما قدم من قول وعمل .

قال تعالى **(وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كره فأكون من المحسنين)** (٢)

وقال تعالى **(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** (٣)

---

(١) سنن ابن ماجة حـ ٢ ص ١١٤٩ ك الطب . باب الحمى . والأحاديث القدسية حـ ١ ص ٢١٧ باب الحمى هى [illegible] أسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا .. الخ .

(٢) سورة [illegible] الآية ٥٤ : ٥٨

(٣) سورة [illegible] الآيتان ٧ ، ٨

وعن أبى برزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به . وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه . وعن جسمه فيما أبلاه) (١)

والواعظ الموفق هو الذى يبين لمن أسرفوا فى المعاصى أضرارها . فمنها حرمان العلم . وحرمان الرزق وتعسير الأمور . وظلمة القلب . وضعف البدن والقلب . وحرمان الطاعة . ونقصان العمر . ومحق الرزق . وأن المعاصى تزرع أمثالها . وينسلخ من القلب استقباحها ... الخ .

الحالة الثانية : أهل الغرور :

كذلك ينبغى أن يسلك الواعظ مسلك الترهيب مع القوم الذين أصابهم الغرور .

قال الإمام الغزالى : (الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان . فمن اعتقد أنه على خير إما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور . وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه . فأكثر الناس إذن مغرورون) (٢) والغرور يصيب الكافر والمسلم .

فإن كان الواعظ يعظ كافراً غرته الحياة الدنيا . أو غره بالله الغرور . على الواعظ أن يعظه بالحكمة والموعظة الحسنة . ويلفت نظره إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض ، ويحذرهم من مكر الله تعالى واستدراجه .

---

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذى حـ ٤ ص ٦١٢ ك صفة القيامة الترغيب والترهيب للمنذرى حـ ٤ ص ١٩٨ كتاب البعث . فصل فى ذكر الحساب وغيره

(٢) إحياء علوم الدين . للإمام الغزالى حـ ٣ ص ٣٦٨

ولقد قسم الإمام الغزالى المغترين من المسلمين إلى أربعة أصناف :

الصنف الأول : أهل العلم . والمغترون منهم فرق كثيرة .

الصنف الثانى : أرباب العبادة والعمل . والمغرورون منهم فرق كثيرة .

الصنف الثالث : المتصوفة . وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة .

الصنف الرابع : أرباب الأموال . والمغترون منهم فرق كثيرة (١)

وذكر فرق كل صنف بالشرح والتحليل مما لا يتسع المقام لذكره .

ومن خلال هذا العرض للإمام الغزالى نجد أن أهل الغرور فرق كثيرة ومتنوعة ولذا ينبغى على الواعظ أن يرهب كل فرقة من غرورها وبما يناسبها من أسلوب ودليل مهتدياً فى ذلك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ . ففيهما كل ما يحتاج إليه الواعظ مع هؤلاء جميعاً .

الحالة الثالثة : الخلل الاجتماعى :

إن حياة المسلمين فى كل مكان وفى العصر الحاضر تشهد ظلماً واضحاً لا ينكره أحد . فى الوزارات والمديريات والإدارات ... الجميع يتعامل بالمعارف والأحساب والألقاب ... لا بما جاءنا به الإسلام الحنيف من عدل ومساواة .

ففى مجال التعيينات تلعب المعرفة دوراً كبيراً رئيسياً .. وفى توزيع الحوافز ... وقضاء الحاجات .. وفى العقوبات ... والخصومات ... الخ

وهنا ينبغى للواعظ أن يتدخل بالترهيب والتخويف محذراً من المجاملات على حساب الحق .

---

(١) إحياء علوم الدين . الإمام الغزالى حـ ٣ ص ٣٦٨ : ٣٩٨ .
ننصح الواعظ بدراسة هذا الفصل من الإحياء

فعن عائشة رضى الله عنها . أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟ فكلم رسول الله ﷺفقال : " أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب . فقال : يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه . وإذا سرق الضعيف منهم أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها " (١)

هذه بعض الحالات التى ينبغى أن يرهب فيها الواعظ الموعوظ بعيداً عن الترغيب .

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح حـ ١٢ ص ٨٧ ، كتاب الحدود . باب كراهية الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان ومسلم حـ ١١ ص ١٨٦ ك الحدود . باب قطع السارق .

حالات الترغيب والترهيب :

الحالة الأولى : إذا كان المدعو بين الرجاء والخوف :

إذا كان المدعو بين الرجاء والخوف . ويريد الواعظ أن يأخذ بيده خطوة إلى الأمام فى مجال العقيدة والشريعة والأخلاق . فعلى الواعظ أن يسلك معه مسلك الترغيب والترهيب . الوعد والوعيد . الثواب والعقاب .

قال تعالى **(نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم)** (١)

الحالة الثانية : إذا كانت الموعظة فى الغرائز والدوافع :

أودع الله تعالى فى الإنسان مجموعة من الدوافع والغرائز . منها غريزة الجنس وحب المال والطعام والشراب .. وهذه الغرائز لها دور فى الحياة . وتلح دائماً على صاحبها بقوة . ولذا شرع الإسلام الزواج وأباح الطعام والشراب وجمع المال .

فالواعظ عندما يحذر من الزنا يرغب فى الزواج .

وعندما يرهب من الربا . يرغب فى البيع والشراء .

وعندما يحذر من أكل الحرام . يرغب فى أكل الحلال الطيب .

(٣) رعاية الأولويات :

من أهم ضوابط الموعظة رعاية الأولويات . بمعنى وضع كل شئ فى مرتبته بالعدل . من الأحكام والقيم والأعمال . ثم يقدم الأولى فالأولى بناء على معايير شرعية صحيحة يهدى إليها نور الوحى . ونور العقل . فلا يقدم غير المهم على المهم . ولا المهم على الأهم . والمرجوح على الراجح . ولا المفضول على الفاضل .

---

(١) سورة الحجر الآيتان : ٤٩ ، ٥٠ .

قال د/ يوسف القرضاوى :

(وأساس هذا : أن القيم والأحكام والأعمال والتكاليف متفاوتة فى نظر الشرع تفاوتاً بليغاً . وليست كلها فى مرتبة واحدة . فمنها الكبير ومنها الصغير ومنها الأصلى ومنها الفرعى . ومنها الأركان ومنها المكملات . ومنها ما موضعه فى الصلب . وما موضعه فى الهامش . وفيها الأعلى والأدنى . والفاضل والمفضول) (١)

والناظر فى القرآن الكريم . والسنة النبوية يجد هذا واضحاً .

قال تعالى (**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون**) (٢)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه . قال : قال : ﷺ : الإيمان بضع وسبعون شعبة : أعلاها " لا إله إلا الله " وأدناها " إماطة الأذى عن الطريق " (٣)

ولأهمية الأولويات فى حياة المسلم . كان أصحاب النبى ﷺ دائما يسألونه عن أفضل الأعمال إلى الله تعالى .

وفقه الأولويات يشمل مجال العلم والفكر . ومجال الفتوى والدعوة . ومجال العمل . ومجال المأمورات . ومجال المنهيات . ومجال الاصلاح ... الخ

والداعية لا يقوم بواجب الدعوة على الوجه الذى يرضى الله تعالى إلا بعد

---

(١) فى فقه الأولويات . د/ يوسف القرضاوى ص ٩

(٢) سورة التوبة الآيتان ١٩ ، ٢٠

(٣) صحيح البخارى مع الفتح جـ ١ ص ٥١ ك الإيمان . باب أمور الإيمان ومسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ٣ ك الإيمان . باب بيان شعب الإيمان .

ومما ينبغى أن يراعيه الواعظ فى مجال المأمورات .

تقديم الأصول على الفروع . والفرائض على السنن . وفرض العين على فرض الكفاية . وتقديم حقوق العباد على حق الله المجرد . وحقوق الجماعة على حقوق الأفراد . وتقديم الولاء للجماعة والأمة على القبيلة والفرد .

(٤) الاقتصاد والاختصار فى الموعظة :

جاء فى المعجم الوجيز (اقتصد فى أمره : توسط فلم يفرط ولم يفرط) (١)

إذا كان مقصود الوعظ نشر الهداية الإسلامية بتصحيح العقائد واستقامة الأعمال وتهذيب النفوس . ومقاومة الإلحاد . ودفع الشبهات ولو بكلمة واحدة . فينبغى للداعية أن يقتصد فى موعظته ويتجنب الإطناب الممل .

قال د/ عبد الغفار عزيز فى كتابه " الخطابة الدينية "

(على الخطيب أن يراعى عدم الإطالة أكثر مما ينبغى وهى للأسف آفة الخطباء المحدثين وهى تضر غالبا أكثر مما تنفع . ولهذا وجب على الداعى أن يحذر الإطالة التى تنشأ غالبا من إعجاب المرء بنفسه . وتصوره أن علمه جديد على الناس إذا لاحظ بعضهم استحساناً من الناس وثناء . وهذا ولا شك غرور يجب ألا يقع فيه الخطيب . وقد تكون الإطالة حباً فى الشهرة والمديح والانشغال بالنفس وهو من الرياء الذى يجب على الداعين أن يخافوا على أنفسهم منه لأنه شرك خفى والعياذ بالله .

وقد تكون الإطالة بسبب الغفلة والنسيان وعدم تقدير مصلحة الآخرين

---

(١) المعجم الوجيز ص ٥٠٣

وربما يكون التطويل مقصوداً من بعض الخطباء لما يظنونه من تحقيق المنفعة أولأن الموضوع فى ذاته طويل ومتشعب) (١)

والاقتصاد والبعد عن المغالاة مسلك محمود فى كل الأعمال ولا سيما فى الموعظة . حتى لا ينفر الموعوظ . وينفض عن الواعظ . ويشعر بالسأم . ويداخله الملل . وينتابه الفتور .

والاقتصاد فى الموعظة مع جمهور الناس . أما مع الحكام فعلى الواعظ أن يختصر الموعظة . لانشغالهم وضيق وقتهم . وكثرة أعمالهم . وثقل أعباءهم .

جاء فى المعجم الوجيز (اختصر فلان الشئ والكلام : حذف الفضول منه) (٢)

وجاء فى كتاب " الآداب الشرعية " قول على بن سليمان :

(إنه يستحسن مع الرؤساء الإيجاز والاختصار لأن الإكثار يضجرهم حتى ربما يصيرهم إلى استقباح الحسن مما يكاتبون به . والرد عما يسألون) (٣)

وينبغى لمن وعظ سلطاناً أن يبالغ فى التلطف . ولا يواجهه بما يقتضى أنه ظالم . فإن الحكام حظهم التفرد بالقهر والغلبة . والواعظ الموفق هو الذى يمزج وعظه بذكر شرف الولاية وحصول الثواب فى رعاية الرعايا . وحسبنا قول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام **(اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى)** (٤)

---

(١) الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق . د/ عبد الغفار عزيز ص ٥٧ .

(٢) المعجم الوجيز ص ١٩٨

(٣) الآداب الشرعية حـ ١ ص٣٩٣

(٤) سورة طه الايتان ٤٣ ، ٤٤

ومن المواعظ المختصرة مع الملوك والسلاطين :

قول معاوية رضي الله عنه لابن الكواء : تري الزمان ؟ قال : أنت الزمان إن تصلح يصلح (١)

ووعظ شبيب بن شيبة المنصور فقال : إن الله عز وجل لم يجعل فوقك أحداً فلا تجعل فوق شكرك شكراً (٢) .

ووعظ ابن السماك أمير المؤمنين هارون الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين إن لك بين يدى الله مقاماً . وإن لك من مقامك منصرفاً . فانظر إلى أين منصرفك إلى الجنة أم إلى النار . فبكى هارون حتى كاد أن يموت (٣) .

والاختصار مع الملاطفة فى الموعظة مع الحكام من الحكمة . فالموعظة المختصرة واضحة ومؤثرة . ومقبولة ونافعة .

(٥) عدم التحدث مع العوام بما لا تفهمه عقولهم :

أولا : فى العقيدة :

عند الحديث عن وجود الله تعالى . ووحدانيته . وصفاته .. لا يجوز للواعظ الخوض فى دقائق علم الكلام . كخلق الأفعال . ورؤية الله تعالى وذلك حتى لا يحدث خلل فى عقائد العامة يصعب عليهم الخلاص منه .

والصواب فى العقيدة أن يسير الواعظ على طريقة السلف فى وصف الله تعالى بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تمثيل . ولا تحريف ولا تعطيل .

وهى الطريقة التى انتهى إليها أساطين علم الكلام من الأشاعرة وغيرهم .

---

(١) المصباح المضئ ٢ / ٤٢
(٢) الآداب الشرعية ١ / ١٩٨
(٣) المصباح المضئ ٢ / ١٧٣

ثانيا : فى التفسير :

ومما يلزم الواعظ اجتنابه مع العوام فى مقام التفسير الإعراض عن المباحث اللفظية . أو المسائل النحوية والنكات البلاغية . والمجادلات الكلامية . والخلافات الفقهية .. وذلك لأنها تحجب العوام عن إدراك أسرار كلام الله تعالى .

ومن ثم يجب على الواعظ العناية بلباب التفسير حتى يؤثر فيهم – أى العوام – بما يجليه من أسرار الحق وأنوار الهداية فى كلمات الله . وأن يحرص على ذكر اللفتات الإشراقية التى تحرك القلوب الهامدة . وتحيى العزائم الميتة . بما فيها من حرارة الصدق . وصفاء الإخلاص .

ثالثا : فى الحديث :

كذلك ينبغى للواعظ مع العوام أن يتجنب الأحاديث النبوية التى لا يسهل لهم حفظها . ولا فهمها .. ما دام فى الباب غيرها يكفى ويشفى .

قال د/ يوسف القرضاوى

(أن يتجنب الأحاديث التى تشكل على جمهور التى تشكل على جمهور الناس . ولا تسيغها عقولهم وثقافتهم لأن لها تفسيرات وتأويلات قد لا يهضمونها . وربما كانت أعلى من مستواهم . أو تغص بها حلوق بعضهم . مثل : حديث الذباب . أو حديث سجود الشمس كل يوم تحت العرش أو ما شابه ذلك من الأحاديث .

فليس من فقه الداعية أن يتلو على مسامع الناس هذه الأحاديث . بغير ضرورة . تقتضيها . ولا مناسبة توجبها بل الداعية الفقيه هو الذى يعنى . بالأحاديث التى لها صلة بواقع الناس . ويتحرى عن المتشابهات والمشكلات

وما لا تبلغه عقول أوساط الناس) (١)

قال على كرم الله تعالى وجهه : حدثوا الناس بما يعرفون . أتحبون أن يكذب الله ورسوله (٢) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة (٣) .

(٦) اجتناب السجع القبيح :

بالرجوع إلى معاجم نجد أن " السجع هو الكلام المقفى غير الموزون . والجمع أسجاع وأساجيع " (٤) والسجع منه الحسن (٥) ومنه القبيح .

فالسجع الحسن هو ما كان لكمال فصاحة أو لكونه محفوظا . وخلا من التكلف وإعمال الفكر . من ذلك قوله ﷺ (اللهم منزل الكتاب . ومجرى السحاب . وهازم الأحزاب إهزمهم وانصرنا عليهم) (٦)

وقوله ﷺ وهو يعوذ الحسن والحسين (أعيذ كما بكلمات الله التامة . من كل شيطان وهامة . ومن كل عين لامة) (٧)

أما القبيح فهو مكروه شرعاً . ثقيل على النفس ولو في الدعاء . لأنه

---

(١) ثقافة الداعية . د/ يوسف القرضاوى ص ٦٠

(٢) صحيح البخارى مع الفتح جـ ١ ص ٢٢٥ كتاب العلم . باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ص ٧٦ مقدمة الشارح . باب النهى عن الحديث بكل ما سمع .

(٤) مختار الصحاح ص ٢٨٧ . والمعجم الوجيز ص ٣٠٣ .

(٥) شروط السجع الحسن (١) أن يكون بعيدا عن التكلف .
(٢) أن تكون كل سجعة دالة على معنى مغاير غيرها .
(٣) أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة المذاق .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٢ ص ٤٧ كتاب الجهاد . باب استجاب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو .

(٧) سنن بن ماجة جـ ٢ ص ١١٦٤ كتاب الطب . باب ما عوذ به ﷺ وما عوذ به

يذهب الخشوع والخضوع . ويلهى عن الضراعة والافتقار وحضور القلب (١)

والواعظ الموفق هو الذى يجتنب السجع القبيح الذى يفوت عليه مقصوده. حتى تكون موعظته مؤثرة . وكلماته واضحة .

هذه هى أهم ضوابط الموعظة . والتى تحفظ الواعظ والموعوظ من الزلل وسوء الفهم .

---

(١) هداية المرشدين ص ١٣٢

الخاتمة

-٢٠١٤ .

وبعد هذه الدراسة أوصى الوعاظ بما يلى

(١) أن يتحلى الواعظ بالآداب والأخلاق والتى سبق أن أشرنا إليها فى ثنايا البحث

(٢) أن يعد الموعظة إعداداً طيباً . ويرتبها ترتيباً منطقياً . ويلقيها بأسلوب جيد وأداء حسن .

(٣) أن يعرف من يحتاج إلى ترغيب فقط فيرغبه . ومن يحتاج إلى ترهيب فقط فيرهبه . ومن يحتاج إليهما معاً فى وقت واحد .

(٤) أن يركز على مخاطبة العقل والنفس .

(٥) أن لا يثقل الواعظ على الموعوظ بالموعظة .

(٦) أن يستمد الواعظ من مواعظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فهما نور ورحمة .

(٧) أن يعظ الواعظ بقوله وفعله وسيرته .

(٨) أن ينوع الواعظ فى الموعظة . والأسلوب والطريقة والدليل .

(٩) أن يكرر الواعظ موعظته . ولا ييأس من الإعراض وعدم الاتعاظ .

(١٠) أن تكون الموعظة مناسبة لحال الموعوظ . وفى وقت مناسب . وبأسلوب مناسب . ودليل مناسب .

(١١) أن يكون الموعظة صحيحة وخالية من الإسرائيليات والموضوعات .

(١٢) أن تكون الموعظة سهلة الفهم والأسلوب والإلقاء .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم .**

(أ)

٢- **إحياء علوم الدين .**

للإمام الغزالى . تقديم د/ بدوى طبانة . مكتبة زهران خلف الأزهر .

٣- **أدب الدنيا والدين .**

لأبى الحسن البصرى الماوردى . دار الصحابة للتراث بطنطا .

٤- **أصول الدعوة .**

د/ عبد الكريم زيدان . دار البيان . الطبعة الثالثة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م

٥- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .**

مصطفى صادق الرافعى . دار الكتاب العربى بيروت . الطبعة التاسعة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

٦- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان .**

لابن قيم الجوزية . مراجعة محمد الأنور البلتاجى . دار التراث العربى للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

٧- **افتراءات المستشرقين على الإسلام .**

د/ عبد العظيم المطعنى . مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م

٨- **الأحاديث القدسية .**

دار المعرفة بيروت لبنان .

٩- **الأحكام السلطانية الماوردى .**

دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٠- **الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى .**

عبد المتعال الجبرى .

مكتبة وهبه الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م

١١- الأمثال من الكتاب والسنة .

للحكيم الترمذى - تحقيق د/ السيد الجميلى . دار ابن زيدون . بيروت لبنان

١٢- الترغيب والترهيب .

للحافظ المنذرى . مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر .

١٣- التعريفات .

الشريف على بن محمد الجرجانى . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

١٤- التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط .

لأبى حيان الأندلسى . مكتبة ومطابع النصر . الرياضى السعودية .

١٥- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب .

للإمام فخر الدين الرازى مكتبة الإيمان بالمنصورة . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

١٦- التفسير القيم .

لابن قيم الجوزية . تحقيق محمد حامد الفقى . نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٧- التفسير الوسيط .

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

١٨- الجامع الصحيح سنن الترمذى

لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة . مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده .

١٩- الحسبة في الاسلام .

لابن تيمية . تحقيق أبو المنذر سامي أنور . من منشورات مسجد التوحيد أمستر دام الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٢٠- الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق .

د/ عبد الغفار عزيز . مؤسسة الوفاء للطباعة . دار السلام . طبع ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م

٢١- السيرة النبوية

للإمام لابن كثير . تحقيق مصطفى عبد الواحد . مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه . القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م .

٢٢- الطرق الحكمية .

لأبى عبد الله بن أبى بكر المتوفى ٧٥١ هـ . المؤسسة العربية للنشر طبع ١٣٨٠ هـ

٢٣- العقد الفريد .

لابن عبد ربه الأندلسى ، شرح وضبط وتصحيح وترتيب " أحمد أمين . أحمد زين . إبراهيم الإبيارى . مطبعة التأليف والترجمة . الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م

٢٤- القاموس المحيط .

للفيروز ابادى . مطبعة البابى الحلبى . الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م

٢٥- القسطاس المستقيم

لأبى حامد الغزالى .

٢٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل .

للزمخشرى . دار الفكر . بيروت لبنان .

٢٧- المدخل إلى علم الدعوة .

محمد أبو الفتح البيانونى . مؤسسة الرسالة بيروت . ط الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٢٨- المستدرك على الصحيحين .

للإمام الحافظ أبى عبد الله الحاكم النيسابورى . دار الفكر .

٢٩- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى .

تأليف أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى . تحقيق . د/ عبد العظيم الشناوى . دار المعارف

٣٠- المعجم الوجيز

مجمع اللغة العربية بالقاهرة . طبع سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

٣١- المعجم الوسيط .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة . الطبعة الثالثة .

٣٢- المنجد فى اللغة والأعلام .

الطبعة الخامسة والعشرون . دار المشرق . بيروت لبنان .

٣٣- الموطأ .

للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه . تخريج وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى . دار الحديث

٣٤- النبى محمد ﷺ .

د/ عبد الكريم الخطيب . دار الفكر العربى الطبعة الأولى .

٣٥- الوابل الصيب من الكلم الطيب

لابن قيم الجوزية مطابع المختار الاسلامى طريق المعادى الزراعى الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ

٣٦- الوافى " معجم وسيط فى اللغة العربية " .

تأليف الشيخ عبد الله البستانى . مكتبة، لبنان . بيروت طبع سنة ١٩٨٠م

(ت)

٣٧- تذكيرة الدعاة .

الشيخ البهى الخولى . دار التراث ش الجمهورية . الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م

٣٨- تذكرة الحفاظ .

الامام الذهبى . دار الفكر العربى .

٣٩- تفسير الخازن " المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل "

لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن . دار الفكر . بيروت لبنان

٤٠- تفسير القرآن العظيم .

للإمام الحافظ بن كثير الدمشقى . المكتبة التوفيقية . بجوار سيدنا الحسين رضي الله عنه

٤١- تفسير القرطبى " الجامع لأحكام القرآن .

لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى . دار الريان للتراث . القاهرة

٤٢- تفسير النسفى .

للإمام النسفى . دار الكتاب العربى بيروت - لبنان

(ث)

٤٣- **ثقافة الداعية**

د/ يوسف القرضاوى . مكتبة وهبة . الطبعة التاسعة ١٤١١ هـ - ١٩٩١م

٤٤- **ثقافة الداعية .**

عبد الله ناصح علوان . دار السلام ١٢٠ ش الأزهر . الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م

(ج)

٤٥- **جامع البيان فى تفسير القرآن .**

لابن جرير الطبري . دار الجيل . بيروت - لبنان .

٤٦- **جامع العلوم والحكم .**

لابن رجب الحنبلى البغدادى . من توزيع رئاسة إدارات البحوث العلميه بالرياض

(ح)

٤٧- **حلية الأولياء وطبقات الأولياء .**

للحافظ أبى نعيم الأصبهانى . دار الكتاب العربى . بيروت - لبنان . الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

٤٨- **حياة محمد ﷺ**

د/ محمد حسين هيكل . الهيئة المصرية للكتاب - مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤م (الجزء الأول)

(د)

٤٩- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين .

للعلامة محمد على بن محمد بن إبراهيم بن علان الصديقى . تحقيق محمد حامد الفقى . الدار الثقافية بيروت

(ر)

٥٠- رسالة التوحيد .

الشيخ محمد عبده . مطابع دار الهلال .

٥١- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .

للألوسى البغدادى - دار إحياء التراث العربى . بيروت - لبنان .

(ز)

٥٢- زاد المعاد فى هدى خير العباد .

للإمام ابن قيم الجوزية . المطبعة المصرية ومكتبتها .

(س)

٥٣- سموم الاستشراق والمستشرقين .

أنور الجندى . مكتبة التراث الإسلامى . القصر العينى - بالقاهرة .

٥٤- سنن ابن ماجة .

للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزويني . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . دار الحديث بمصر

٥٥- سنن أبى داود .

للإمام الحافظ أبى داود سليمان ابن الأشعث السجستانى الأزدى دار الحديث طبع ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(ص)

٥٦- صحيح مسلم بشرح النووى .

المكتبة المصرية ومكتبتها

٥٧- صفة الصفوة .

لابن الجوزى . تحقيق طارق محمد عبد المنعم . دار بن خلدون الاسكندرية .

٥٨- صفوة التفاسير .

محمد على الصابونى . المطبعة العربية الحديثة بالعباسية .

٥٩- صيد الخاطر .

لابن الجوزى . تحقيق عبد القادر أحمد عطا طبع ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م مكتبة الكليات الأزهرية .

(ض)

٦٠- ضوابط العمل الدعوى .

د/ حسين خطاب . مطبعة الفجر الجديد منشية ناصر . الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م

(ف)

٦١- فتح البارى بشرح صحيح البخارى .

للإمام الحافظ بن حجر العسقلانى . دار المعرفة بيروت لبنان .

٦٢- فقه الدعوة والإعلام .

د/ عمارة نجيب محمد . مكتبة سعيد رأفت - جامعة عين شمس .

٦٣- فقه السنة .

الشيخ سيد سابق . مكتبة المسلم .

٦٤- فقه السيرة .

الشيخ محمد الغزالى . دار الكتب الاسلامية . ش الجمهورية بعابدين بالقاهرة .

٦٥- فى ظلال القرآن .

الشيخ / سيد قطب . دار الشروق .

٦٦- فى فقه الأولويات .

د/ يوسف القرضاوى . مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م

(ق)

٦٧- قواعد أصول الحديث .

د/ أحمد عمر هاشم . مطبعة حسان . ش الجيش القاهرة .

(ل)

٦٨- لسان العرب .

لابن منظور الإفريقى المصرى . دار المعارف بمصر

(م)

٦٩- مجمل اللغة .

لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوى . دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان .

مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٧٠- مجموع الفتاوى .

لشيخ الاسلام ابن تيمية . جمع وترتيب المرحوم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء بالسعودية .

٧١- مختار الصحاح .

للرازى . دار الحديث بمصر .

٧٢- مدخل إلى الإستدلال القرآنى .

د/عبد الله الشاذلى . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م . ليس عليه دار نشر .

٧٣- مدارج السالكين .

لابن قيم الجوزية . نشر دار التراث العربى للطباعة بميدان الحسين .

٧٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل

دار الفكر

٧٥- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة .

لابن قيم الجوزية . تعليق محمود حسن ربيع طبع ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ .

مكتبة حميدو . ٢٦ ش النبى دانيال الاسكندرية .

٧٦- مفهوم الحكمة فى الدعوة .

صالح بن عبد الله بن حميد – هدية مجلة التوحيد .

٧٧- مفهوم العبودية في الإسلام .

لابن تيمية . تخريج وتعليق أبو شهاب محمد الشيمى شحاته . دار الشهاب . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ م

٧٨- مقدمة ابن خلدون .

للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربى . مطبعة محمد عاطف وشركاه .

٧٩- منهج التربية الإسلامية .

محمد قطب – دار الشروق . الطبعة الخامسة ١٩٨١ م – ١٤٠١ هـ

(ن)

٨٠- نهاية الأرب فى فنون الأدب .

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ٦٧٧ هـ - ٧٣٢ هـ .

وزارة الثقافة والإرشاد القومى . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة .

(هـ)

٨١- هداية المرشدين

الشيخ على محفوظ . دار الاعتصام . الطبعة التاسعة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م

فهـرس الموضوعات

المبحث الأول : نماذج من مواعظ النبى ﷺ :

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٦٢٩٩
ينـــاير ١٩٩٩م
مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا
أمام فرع جامعة الأزهر
أول طريق سبرباى كفر الشيخ